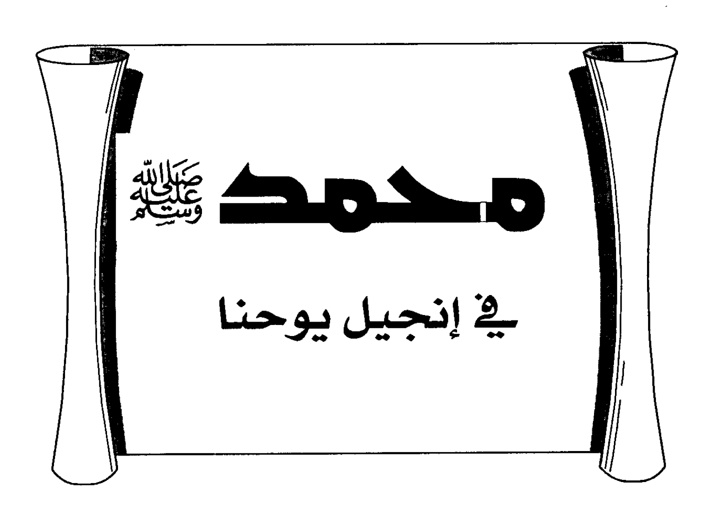


تأليف

د. فاروق عبد السلام

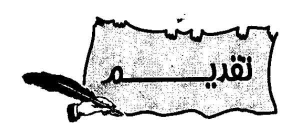


محمد ﷺ

في إنجيل يوحنا

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧



بقلم بدر محمد بدر

لم تكن إهانة بابـا الفاتيكـان بينـدكت السـادس عشـر للإسـلام العظيم ورسوله الكريم محمد ﷺ في خريـف هـذا العـام (٢٠٠٦)م هي الأولى، ولن تكون – بالطبع – هي الأخيرة في مسلسـل الهجـوم على الإسلام ومحاصرته سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا، والتضـييق علـى أتباعـه، وإثـارة الحـروب علـى أرضـه، فالحقـد الـدفين، والعـداوة والبغضاء، التي يعيشها بعض أتبـاع المسـيح عيسـى عليـه السـلام – والمسيح منهم براء – ضد الإسلام وأمته، لا تخفـى علـى أحـد، ولا يمكن أن يتجاهلها منصف..

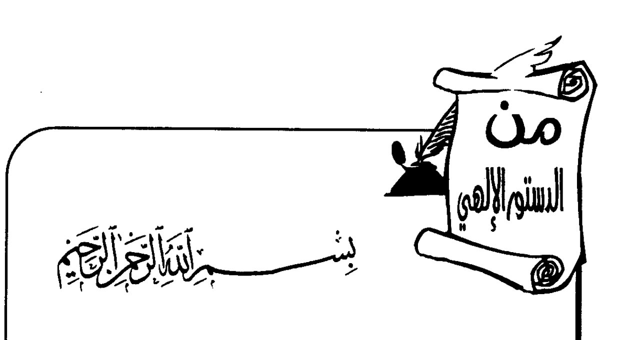
إن الأمر في نظري – ليس جهلاً محضًا، وليس خطأ غير متعمد، وليس استهتارًا غير مقبول، وليس حقـدًا غذتـه المواريـث التاريخيـة الخاطئة، وليس جزءًا فقط من سياسة الاستعلاء والهيمنة الـتي تنظـر بها الحضارة المسيحية الغربية لأمة الإسلام، ولكنه خلـيط مـن هـذا كله، فالمؤكد أن أتباع عيسى عليه السلام لم يقرؤوا كتابهم جيدًا، كما أنهم – بالطبع – لم يقرؤوا كتاب المسلمين المقدس «القرآن الكـريم» وإلا لتغير الحال جذريًا، ولتفتحت العقول والقلـوب علـى الحقـائق الناصعة، والبراهين الواضحة، والأدلة الدامغة.

إن رسالة الأنبياء والمرسلين واحدة، وهي توحيد الله سبحانه، ورسالة محمد ﷺ جاءت لتكمل الرسالات وتختمها، وتهيمن عليها ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وكتاب الدكتور العزيز فاروق عبد السلام هو إبحار في أحد الأناجيل المعتمدة لدى المسيحيين وهو إنجيل يوحنا، للبحث عن البشارة بمقدم خير الأنام، رسول السلام والإسلام محمد ﷺ، والقراءة المتأنية لما جاء في الإنجيل عن النبي الخاتم، وهذه الدراسة العلمية الموضوعية المكتوبة بعبارات سهلة وواضحة ومعبرة في نفس الوقت، تحتاج إلى عقل مفتوح، وقلب يبحث عن الحقيقة، ونفس تبحث عن اليقين والاطمئنان، لتؤتي ثمارها المرجوة، وأثرها الإيجابي.

وأسأل الله أن يبارك في جهود الدكتور فاروق عبد السلام، وأن يمدنا بالمزيد مما يحسنه من دراسات وكتابات، وله من الله الأجر الجزيل، ومني الشكر الوفير على إتاحة هذه الفرصة لأنال شرف تقديم هذا الكتاب، والحمد لله رب العالمين.

***



﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، والمبعوث رحمة للعالمين، النبي الأمي الصادق المصدوق الأمين، والذي قال تعالى عنه في كتابه الكريم:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾.

وهذه الآية الكريمة من كتاب الله الكريم نص إلهي قطعي الثبوت والدلالة يقطع – بما لا يدع مجالا لأي شك – بأن اليهود والنصارى يجدون الرسول النبي الأمي محمدًا بن عبد الله – عليه أفضل الصلاة والسلام – مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل.

والكلام في هذا الكتاب يقتصر على النصارى وكتابهم الإنجيل.

وأكثر العارفين والمثقفين من أبناء المسلمين لو سألتهم: أين يوجد الرسول النبي الأمي – عليه أفضل الصلاة والسلام – في إنجيل النصارى؟ وما الشاهد على ذلك؟ وما دليل وبرهان وجوده مكتوبا عندهم في الإنجيل؟!

الإجابة هنا لن تخرج عن أحد أمرين:

سوف يرد البعض بأنه موجود فعلاً بالإشارة وبصريح العبارة

والاسم في إنجيل برنابا.

والبعض الآخر سوف يضيف إلى ذلك القول بأن من المعروف والمشهور أنه كانت هناك في القرن الأول لميلاد السيد المسيح عشرات، بل ومئات الأناجيل، والموجود حاليًا والمصرح به من أناجيل معتمدة إنما تم اختيارها بالاقتراع، وكتبها تلاميذ أو تلاميذ تلاميذ السيد المسيح، وبعد فترة من الزمان، وسنوات من عصور الظلام والمحن، تعرضت فيها للتبديل والتحريف، وفعل الهوى والغرض، والزيادة والنقصان، والإضافة والحذف، حتى خرجت لنا على صورتها الحالية! ولو وجد الأصل لوجدنا فيه بالضرورة وبالإشارة أو بصريح العبارة النبي الأمي مكتوبا في كل الأناجيل كما أخبر بذلك الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم.

* وإنجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة جاء فيه في الفصل ١٦٣- ٨:

«أجاب يسوع بابتهاج قلب: إنه محمد رسول الله».

وجاء في الفصل ٢٢٠- ٢٠:

«وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله».

والدكتور خليل سعادة صاحب ترجمة إنجيل برنابا للعربية يقول في مقدمته للترجمة: «غير أن القول بأن هذا الإنجيل عربي الأصل لا

يترتب عليه أن يكون كاتبه عربي الأصل، بل الـذي أذهـب إليـه أن الكاتب يهودي أندلسي اعتنق الدين الإسلامي بعد تنصره، واطلاعه على أناجيل النصارى».

ويقول أيضًا في المقدمة:

«ولا ريب في أن الكاتب كان على ما تقـدم الإلمـاع إليـه بارعًـا جدًا في أساليب التعبير، وإقامة الحجج والأدلـة، ولكنـه كـان بارعًـا أكثر من اللازم حتى ربما جـاوز الغـرض، ومـا جـاوز حـده جـاور ضده، ولو أشار إلى مجيء الرسـول نـبي المسـلمين مـن طـرف خفـي بإشـارات تنطبـق عليـه دون التصـريح باسمـه الصـريح تكـرارا، والشروح الضافية الذيول، ودون أن يذكر شيئًا عن الشهادتين اللتين يقول: إن أبانا آدم رآهما مسطورتين بأحرف من نور فوق باب الجنة لكان أصلح للغاية التي يرمي إليها».

هذا ما كتبه د. خليل سعادة في ١٥ مارس ١٩٠٨م، وهو بهـذا ينكر أن يكون صاحب وكاتب الإنجيل الذي قام بترجمته هو «برنابا».

ويرى – من وجهة نظره – إذا كان من الوارد مجيء الرسول نبي المسلمين في إنجيل من الأناجيل، فمن المعقـول والأفضـل والأصـلح للغاية – في رأيه – أن يكون ذلك من طرف خفي بإشـارات تنطبـق عليه دون التصريح باسمه الصريح.

* ونترك ذلك مؤقتا حتى نهاية الكتاب لنذكر المهم الآن بالنسبة

لإنجيل برنابا في هذا المقام! والمهم الذي نعنيه ونقصده هنا ويذكره الدكتور خليل سعادة، ومعلوم تاريخيا، هو أن البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكة البابوية عام ٤٩٢م كان قد أصدر قرارًا بأسماء الكتب المحظور مطالعتها، ومنها إنجيل برنابا.

أي أن إنجيل برنابا ممنوع تداوله، ومحظور على النصارى قراءته أو الاطلاع عليه، وذلك من قبل بعثة المصطفى – عليه أفضل الصلاة والسلام – بقرن من الزمان وزيادة، وكذلك عشرات الأناجيل الأخرى!

وأن المسموح والمصرح والمعترف به من الأناجيل من وجهة نظر النصارى من يومها وإلى الآن هو فقط ما تم اختياره والاتفاق عليه بطريق الاقتراع، واعتمده آباء الكنيسة، ونعني بذلك الأناجيل الأربعة المشهورة والمعروفة:

«مرقس»، و «متى»، و «ولوقا»، و «ويوحنا».

** أي أن هذا الحظر على إنجيل برنابا وغيره صدر في أواخر القرن الخامس الميلادي، وأنزل القرآن على قلب المصطفى – عليه أفضل الصلاة والسلام – في أوائل القرن السابع الميلادي، أي بعد أكثر من قرن، وفيه هذه الآية المحكمة الكريمة:

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾.

والآية تخاطب اليهود والنصارى من أهل الكتاب.

وبالنسبة للنصارى والإنجيل ففيهم – أي النصارى – الخاصة من الرهبان وآباء الكنيسة، وفيهم العامة من الناس.

* وآباء الكنيسة والخاصة وخاصة الخاصة من أبناء النصارى في الصدر الأول للإسلام كانوا يعلمون جيدًا أين يجدونه في الإنجيل؟ ولماذا أناجيل بالذات مثل إنجيل برنابا صدر مرسوم بابوى بحظرها ومنعها وتحريم الاطلاع عليها؟!

** أما العامة من أبناء النصارى قديمًا وحديثًا فلا يعلمون من الأناجيل إلا ما فرض عليهم، وصرح لهم به، وهو هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة والمعروفة!

ولو شاءوا أو أرادوا اتباع الرسول النبي الأمي كما تنص الآية الكريمة فمن أين لهم ذلك؟ وأين يجدونه؟ ولا ذنب لهم فيما بدل وحرف غيرهم؟ ولا ذنب لهم فيما كتمه عليهم آباء الكنيسة وحرموهم من الاطلاع عليه؟!

وكلام الله في القرآن خالد وباق وصالح لكل زمان ومكان، وإلى يوم يبعثون!

وكلام الله في القرآن يخاطب الخاصة والعامة قديما وحديثًا وحتى آخر الزمان، وموجه لأهل كل زمان ومكان!

* من هذا المنطلق يستطيع المسلم الباحث المنقب وكله ثقة ويقين في كلام رب العالمين، يستطيع أن يتوقع ويصح توقعه،

ويستطيع أن يجزم وأن يقول: إنه – أي الرسول النبي الأمي – موجود بإذن الله «مكتوبا» فيما هو مصرح به من أناجيل معتمدة، رغم حرصهم على تحاشى ذلك، وإخفائه بشتى السبل، ورغم تعسف آباء الكنيسة في اختيار واعتماد بعض الأناجيل دون البعض الآخر، ورغم اختيار ما اختاروه بطريق «الاقتراع»!

* وهذا ما نحاول – بعون الله وتوفيق منه جل في علاه – أن نوضحه ونثبته في الفصول والصفحات المقبلة من هذا الكتاب، ومن واقع إنجيل يوحنا الحواري الجليل صاحب الفم الذهبي، وابن خالة السيد المسيح عليه السلام.

***



الفصل الأول

إنجيل يوحنا



الإنجيل كلمة يونانية تعني: الخبر السعيد، أو البشارة. كما تعني: الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام أو الرسالة.

وكان هناك في القرن الميلادي الأول عشرات الأناجيل، بل مئات، ويقال: ثلاثمائة إنجيل، اعتمد آباء الكنيسة منها أربعا فقط بطريق الاقتراع، وهي:

- إنجيل مرقس، وإنجيل متى، وإنجيل لوقا، وتسمى أناجيل «المقابلة» لإمكان المقابلة بين ما فيها في المحتوى مع اختلاف في الترتيب.

- والإنجيل الرابع وهو إنجيل يوحنا.

وهذه الأناجيل كتبت في الأصل باللغة اليونانية، وليس بلغة السيد المسيح العبرية الآرامية.

وهذه الأناجيل كتبها تلاميذ أو تلاميذ تلاميذ السيد المسيح، وفيها إنجيلان كتبهما مسيحيان لم يلتقيا بالسيد المسيح، أو يسمعا منه، وهما:

* إنجيل مرقس الذي سمع وأخذ عن بطرس الرسول.

* وإنجيل لوقا الذي سمع وأخذ عن صاحبه بولس الرسول.

وهذه الأناجيل كتبت في الأصل «مرسلة»، أي: بغير تقسيم إلى إصحاحاتها المعروفة بها الآن، وإنما تم لها ذلك في القرن

الثالث عشر للميلاد.

* والإنجيل الرابع، أي: إنجيل يوحنا – موضوع كتابنا هذا – في أكثر الأقوال هو آخر الأناجيل كتابة.

يرى د. بوست أنه كتب سنة ٩٥ أو ٩٦ أو ٩٨م.

ويرى هورن أنه تم تدوينه سنة ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٨٩ أو ٩٨م.

وعلى عكس هذا الرأي يرى الأب فرار فنتون مترجم الإنجيل طبعة أكسفورد أن إنجيل يوحنا أقدم الأناجيل، وقد كتبه أولا بالعبرية عام ثلاثين وعام أربعين ميلادية، ثم نقله بعد ذلك إلى اليونانية.

ويعلق على هذا الرأي العقاد بقوله:

«ولكن تأخر الزمن الذي كتب فيه هذا الإنجيل ثابت من تفصيله بعض ما أجملته الأناجيل، وزيادته في التعبيرات الفلسفية، وتوسعه في شرح العقائد التي أثرت عن بولس الرسول، ولا يظن أنه كتب قبل سنة ست وتسعين».

* وأكثر الأقوال على أنه كتب بقلم يوحنا تلميذ السيد المسيح، وعلى هذا الرأي – بالطبع – جمهور النصارى.

ويوحنا هذا هو يوحنا الحواري ابن زيدي الصياد، وكان يعمل

هو وأخوه في صيد وتجارة الأسماك، وتركا عملهما وذهبا وراء السيد المسيح.

ويوحنا هذا في نفس الوقت ابن خالة المسيح، أو من بنى خؤولته، وقد أحبه السيد المسيح، ويقال: استودعه والدته ووصاه عليها وهو فوق الصليب – كما يعتقدون.

** ولكن خلافا كبيرا يدور حول صاحب وكاتب هذا الإنجيل. ووراء هذا الخلاف ضمن ما وراءه من أسباب هناك سبب أو اعتقاد معين بذاته وراء إنكار نسبته ليوحنا الحواري الجليل؟!

* أما بخصوص الخلاف فمن جبهة المنكرين نسبته ليوحنا الحواري تلميذ السيد المسيح، وعلى سبيل المثال وليس الحصر:

* تقول دائرة المعارف البريطانية:

«أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه به مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا. ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا

ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هـذا الكتـاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصـياد الجليـل؛ فـإن أعمـالهم تضـيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى».

* ويقول «استادلن»:

«إن كافـة إنجيـل يوحنـا تصـنيف طالـب مـن طلبـة مدرسـة الإسكندرية».

* ويؤيده في ذلك من عندنا ويستشهد به الدكتور أحمد شلبي في رأيه عن مؤلف هذا الإنجيل فيقول:

الإجابة سهلة، فالتـأليف الفلسـفي روح مدرسـة الإسـكندرية، وعقيدة التثليث عقيدة مدرسة الإسكندرية، وإذًا فالأسـتاذ اسـتادلن على حق حينما قال: إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب مـن طلبـة مدرسة الإسكندرية..

* والعقاد لم يقطع في ذلك برأي، وإن كان يميل بمجمـل كلامـه إلى جبهة المنكرين فيقول:

«وأكثر النقاد على أنه مكتوب بقلم يوحنا تلميذ السيد المسـيح، وآخرون يعتقدون أنه بقلم يوحنا آخر كان في أفسـس ولم يـر السـيد المسيح .. لأن يوحنا تلميذ السيد المسيح هـو صـاحب سـفر الرؤيـا المؤلف على أصح الأقوال في سنة ست وتسعين، ولا يظن أن مؤلفا واحدا يكتب في وقت واحد كتابين بينهما مثل ذلك التباين في المنهج

والفحوى».

** وأما جبهة المؤيدين والمؤمنين بأن صاحب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري الجليل تلميذ السيد المسيح، فهم كما ذكرنا أكثر النقاد وجمهور النصارى.

* ومن أقوى الآراء في هذا الجانب، وعلى سبيل المثال رأى الدكتور بوست الذي يقول فيه:

«وإذا قابلناه بمؤلفات الآباء رأينا بينه وبينها بونا عظيما حتى نضطر للحكم بأنه لم يكن منهم من كان قادرًا على تأليف كهذا، بل لم يكن بين التلاميذ من يقدر عليه إلا يوحنا، ويوحنا ذاته لا يستطيع تأليفه بدون إلهام من ربه».

* أما عن السبب الخاص والاعتقاد المعين الذي كان وراء إنكار البعض نسبة هذا الإنجيل للحواري الجليل يوحنا تلميذ السيد المسيح وابن خالته، فهو اعتقاد هؤلاء النفر من الناس بأن هذا الإنجيل إنما كتب خصيصا بغرض إثبات ألوهية المسيح!

* يقول شارل جنيبر في كتابه «المسيحية نشأتها وتطورها»:

«والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه: إنه – ابن الله – وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين. كذلك لا يسمح لنا

أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابـن الله علـى عيسـى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس، كمـا اسـتخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيهـا معـاني عميقـة، وعلـى قـدر كاف من الوضوح بالنسبة إليها».

* ومن عندنا يقول الشيخ محمد أبو زهرة:

«لهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره في نظـر الباحـث؛ لأنـه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح».

ويقول أيضًا:

«من هذه النقول يستفاد أن كتاب النصارى يجمعون أو يكـادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح الـتي اختلفوا في شأنها؛ لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة يعينها».

والنقول التي يقصدها الشيخ محمد أبو زهرة هنا ذكرها في كتابـه «محاضرات في النصرانية» وهي:

١- قول جرجس زوين اللبناني فيما ترجمته:

«إن شير بنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسـيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانا، وأنه لم يكن قبـل أمـه مـريم، فلـذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عنـد يوحنـا، والتمسـوا منه أن يكتب عـن المسـيح وينـادي بإنجيـل ممـا لم يكتبـه الإنجيليـون

الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح».

٢- قول يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيَره «من تحفة الجبل»:

«إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم».

٣- قول صاحب «مرشد الطالبين»:

«إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التي فيها كتب يوحنا إنجيله؛ فإن بعضهم يزعم أنه كتبه في سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم، وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الأقدمين يرون بكتابته في سنة ٩٨، وذلك بعد رجوعه من النفي، فالمقصد بكتابته إبقاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ذات التروى مما لم يذكره باقي الإنجيليين، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم.

وقد قيل: إن يوحنا لم يؤلف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية، مع التبعية لأجل أن يوحيه الروح القدس بذلك».

* ومن عندنا أيضًا يقول الدكتور أحمد شلبي في رأيه عن إنجيل يوحنا:

«ولهذا الإنجيل أهمية خاصة في دراسة المسيحية؛ ذلك لأنه الإنجيل الذي نص صراحة على ألوهية المسيح، وقد سبق أن ذكرنا أن هذا الإنجيل ألف لهذا الغرض..».

وراح الدكتور أحمد شلبي يعزز رأيه هذا بما كتبه في هذا الشأن الشيخ محمد أبو زهرة، وما ذكره إكليمنضوس الإسكندري المسيحي فيقول عن هذا الأخير:

«وقال أكليمنضوس الإسكندري المسيحي صاحب المؤلفات الكثيرة في حقيقة الدين المسيحي ما يلي عن إنجيل يوحنا: إن يوحنا كتب إنجيله بعد كتاب الأناجيل الأخرى؛ لأنه لاحظ أن الأناجيل السابقة لم تدون عن ترجمة المسيح إلا الأمور الحسية، فتلبية لدعوة بطانته، وبعد استلهام روح القدس عقد العزم على كتابه - إنجيل روحي- فبغية يوحنا من إنجيله إظهار ألوهية يسوع».

* وهذا كله من هنا ومن هناك على سبيل المثال وليس الحصر، وتعقيبا على كل ذلك نسأل بأمانة ومن باب البحث العلمي الجاد والأمين والمحايد؛ لكي نصل إلى المعقول والحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة!

نسأل:

- هل هذا صحيح؟!

- هل إنجيل يوحنا الموجود بين أيدينا حاليًا ألف خصيصا من

أجل هذا الغرض؟! أي: من أجل إثبات ألوهية المسيح، والنص صراحة على لاهوت عيسى؟!

- وهل يعد حقا وصدقا وهل يقبل منطقا وعقلا أن يقال: إن «كافة» إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية؟! ولا توجد رابطة أوهى رابطة بين هذا الإنجيل وبين يوحنا الحواري الجليل تلميذ السيد المسيح وابن خالته صاحب الفم الذهبي؟!

- وأحكام مطلقة من هذا النوع هل تعد أحكاما علمية سديدة يعتد بها؟!

- وما مدى وما حقيقة وضع إنجيل يوحنا الموجود حاليا من قضية ألوهية المسيح؟!

***



الفصل الثاني

إنجيل يوحنا وألوهية المسيح

يعجب المرء كل العجب من هؤلاء الذين يعتقدون ويقولون: إن إنجيل يوحنا وضع أو كتب خصيصا لإثبات ألوهية المسيح، والنص على لاهوت عيسى؟!

ويسأل المرء نفسه: ترى هل قرأ أو درس أصحاب هذا الرأي إنجيل يوحنا فعلا؟! وهل اطلعوا فعلا على جميع إصحاحاته وآياته؟!

* ألم يقرأوا من إنجيل يوحنا الآية الثالثة من الإصحاح السابع عشر أي ١٧- ٣ والتي تقول:

«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

أبعد هذا توحيد؟ أنت الإله الحقيقي وحدك! وما يسوع إلا رسول أو مسيح أرسله؟

ويسأل كل ذى عقل: لو كان هذا الإنجيل وضع خصيصا - كما يقولون أو يدعون - من أجل إثبات ألوهية المسيح، هل كان واضعه أو كاتبه يكتب فيه آية من هذا النوع؟! أو يتركها تفلت منه على هذا الصورة بهذا النص وهذه الكيفية؟!

** هذا ومن يقرأ أو يدرس إنجيل يوحنا بتمعن وعناية لابد وأن يلاحظ أنه الإنجيل الوحيد الذي تحدث عن «المعزى»!

فهذا «المعزى» والحديث عنه لم يرد له أي ذكر ولو بلفظ واحد

أو حتى حرف واحد في سائر الأناجيل الأخرى المصرح بها، أي: أناجيل المقابلة «متى» و«مرقس» و«لوقا».

هذا بينما في إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر الآية ٢٦ أي: ١٤- ٢٦ يقول النص:

«وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء...».

وفي الإصحاح السادس عشر الآية ١٣ أي: ١٦ – ١٣ يقول النص:

«وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق...».

وقام خلاف وما زال حول من هو هذا المعزى روح الحق، أو الروح القدس، وهذا ما سوف ندرسه ونقوم بتوضيحه وتعريفه في فصول أخرى من هذا الكتاب! ولكن المهم في مقامنا هذا في هذا الفصل، وفي الحديث عن إنجيل يوحنا وألوهية المسيح أن نشير إلى أن المعزى بنص هذه الآيات والكلمات الصريحة الواضحة وضوح شمس النهار سوف يرشد الناس إلى جميع الحق، ويعلمهم كل شيء!

أي أن الحقيقة النهائية والختامية معلقة على مجيء المعزى وكلامه بنص هذه الآيات التي وردت في إنجيل يوحنا، وانفرد بها وحده عن سائر الأناجيل الأخرى!

وهذا يعني ببساطة شديدة، ووضوح تام، وبالعقل والبديهة

والمنطق أنه لو كان إنجيل يوحنا كما يتصور البعض قد وضع أو كتب خصيصا بهدف إثبات ألوهية المسيح، أو بغرض النص على لاهوت عيسى عليه السلام ما تحدث واضعه أو كاتبه عن هذا «المعزى»، ولا تعرض له بأي ذكر من قريب أو بعيد أسوة بسائر الأناجيل الأخرى!

*** وأهم من ذلك أن النصوص التي يستندون إليها، ويعتمدون عليها، ويحتجون بها في إثبات رأيهم وقولهم واعتقادهم بأن إنجيل يوحنا إنما كتب خصيصا لإثبات ألوهية المسيح هي تلك النصوص التي تنسب للسيد المسيح أنه ابن الله وأن الله أبوه. ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر:

الإصحاح الأول – ٣٤

«وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله».

الإصحاح الأول – ٤٩

«أجاب نثنائيل وقال له: يا معلم أنت ابن الله».

الإصحاح الثالث – ١٦- ١٧- ١٨

«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد؛ لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين؛ لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد».

الإصحاح السادس — ٦٩

«ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي».

الإصحاح الثالث — ٣٥

«الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده».

الإصحاح الخامس — ٢٦

«لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته».

الإصحاح الخامس — ٣٦

«لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني».

الإصحاح الثامن — ١٩

«فقالوا له: أين هو أبوك؟ أجاب يسوع: لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا».

* والذين خرجوا بعد تأمل هذه النصوص وغيرها من إنجيل يوحنا بالاعتقاد بأن هذا الإنجيل إنما كتب خصيصا لإثبات ألوهية المسيح نسألهم: ألم يقرأوا غيرها من النصوص في سائر إصحاحات نفس الإنجيل! ونعني على وجه التحديد ألم يقرأوا على سبيل المثال وليس الحصر: في الإصحاح الأول من نفس الإنجيل الآية أو النص

١٢ والذي جاء فيه:

«وأما كل الذي قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه».

وفي الإصحاح قبل الأخير من إنجيل يوحنا أي الإصحاح العشرون النص ١٧؛ حيث ورد فيه باللفظ الواحد:

«قال لها يسوع: لا تلمسيني؛ لأني لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهي وإلهكم».

وهكذا انظر وتأمل جيدًا قوله في الإصحاح ٢٠- ١٧

«إلهي وإلهكم» حيث سوى نفسه وساوى بينه وبينهم في العبودية لله! وانظر وتأمل جيدًا قوله في نفس النص «أبي وأبيكم»، ومن قبل قوله في الإصحاح الأول – ١٢ عن المؤمنين باسمه أنهم «أولاد الله»، ثم لك بعدها أن تقول لهؤلاء الذين يعتقدون أن إنجيل يوحنا قد كتب خصيصا لإثبات ألوهية المسيح ولاهوت عيسى عليه السلام: بنفس منطقكم ونفس حججكم وأسانيدكم وطبقا لهذين النصين الأخيرين الواردين في الإصحاح الأول – ١٢

والعشرين – ١٧ يكون هذا الإنجيل – أي: إنجيل يوحنا – قد كتب أيضًا لإثبات ألوهية كل المؤمنين، بل وكل الناس؟!!

** ولكن يفرض السؤال نفسه هنا: ترى كل ما ورد وجرى

على لسان السيد المسيح لتلاميذه من كلام عن «الآب» و«الابن» بالنسبة له أو لغيره من المؤمنين، ترى أكان ذلك على سبيل الحقيقة أم على سبيل المجاز؟!

وهل تؤخذ كلمات «الآب» و«الابن» هنا بالحرف والشكل وظاهر الكلام، أم بالمعنى وفحوى ومضمون الكلام؟!

***



الفصل الثالث

كلام المسيح
بين الحقيقة والمجاز

* في إنجيل برنابا ترجمة د. خليل سعادة في الفصل السابع عشر ورد في النصين ١٩- ٢٠.

«أجاب فيلبس: ماذا تقول يا سيد حقا؟! لقد كتب في أشعيا أن الله أبونا فكيف لا يكون له بنون؟

«أجاب يسوع: إنه في الأنبياء مكتوب أمثال كثيرة لا يجب أن تأخذها بالحرف بل بالمعنى».

وفي نفس الإنجيل في الإصحاح الرابع بعد المائة ورد في النصوص ١٠- ١١- ١٢- ١٣:

«وقال متى: يا معلم إنك لقد اعترفت أمام اليهودية كلها بأن ليس لله من شبه كالبشر، وقلت الآن: إن الإنسان ينال من يد الله. فإذا كان لله يدان فله إذًا شبه بالبشر. أجاب يسوع: إنك لفي ضلال يا متى، ولقد ضل كثيرون هكذا إذ لم يفقهوا معنى الكلام؛ لأنه لا يجب على الإنسان أن يلاحظ ظاهر الكلام، بل معناه؛ إذ الكلام البشري بمثابة ترجمان بيننا وبين الله».

* وفي كتابه «إنجيل تولستوى وديانته» يقول فيلسوف روسيا وأديبها العملاق في مقدمته لهذا الكتاب:

«لفظة: «ابن الله» التي تدعو الكنيسة بها يسوع المسيح، وتخصه بهذا النعت دون سواه من الناس، مع أنها في الحقيقة ونفس الأمر مختصة بجميع الناس على السواء، وذلك واضح وضوح الشمس في

رابعة النهار، ومصرح به في كثير من مواضع الإنجيل.

ولما كان يسوع المسيح يخاطب الشعب كان يقول: فليضئ نوركم هكذا بين الناس؛ لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات – متى ص ٥ عدد ١٦-

وجاء أيضًا في متى إصحاح ٥ عدد ٤٥: لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين.

وفي لوقا ص٦ عدد ٣٦: فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم.

وفي متى ص٦ عدد ١: احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات.

ومتى ص٦ عدد ٤: لكي تكون صدقتك في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.

وفي متى ص ٥ عدد ٤٨: فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل.

وفي متى ص ٦ عدد ٦: وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء؛ فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.

وفي متى إصحاح ٦ عدد ٨: فلا تتشبهوا بهم؛ لأن أبـاكم يعلـم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.

ومتى إصحاح ٦ عدد ١٤: فإنه إن غفرتم للناس زلاتهـم يغفـر لكم أيضًا أبوكم السماوي».

وبعد هذه النقول يضيف تولستوى مباشرة معلقا بقوله:

«والمسيح نفسه سمي نفسه ابن الله من جهة التعميم، كمـا كـان يسمي تلامذته وسائر الناس أبناء الله، كما و رد في الآيـات السـالفة الذكر التي لا تدع شكا في نفس مرتاب، والمسيح نفسه يعتقد بأن الله خلقه كسائر الناس؛ ولذا دعا نفسـه ابـن الله كمـا دعـاهم أبنـاء الله سواء بسواء، ولقد اتخذت الكنيسة ذلك حجة لتأييد دعواها على أن المسيح هو ابن حقيقي لله، كما أنني لاون بن نقـولا تولسـتوى معـاذ الله إن هذا إلا ضلال مبين، وافتراء على مقـام الله الواحـد الصـمد المنزه عن الشريك».

* وعملاق الفكر العربي والإسلامي عباس محمود العقاد يقول عن السيد المسيح في كتابه «عبقرية المسيح»:

«أما الصفة التي تثبت لـه عليـه السـلام في طويـة ضـميره فقـد تكررت في كلامه عن نفسه على صور شتى، فهو نور العـالم، وخبـز الحياة، والكرامة الحقيقية، وهو ابن الله وابن الإنسان. والأبوة الإلهية قد وردت في مواضع متعددة من كتب الأنبياء فجاء في سفر التكوين

أن الملائكـة أبنـاء الله – وأن أبنـاء الله رأوا بنـات النـاس حسـنات فاتخذوا منهن زوجات (٦تكوين).

وورد في كلام موسى عليه السلام أن بنى إسـرائيل جميعًـا أبنـاء الله حين قال لفرعون: دع ابني يخرج.

ووردت بهذا المعنى في كتب أخرى كسـفر التثنيـة؛ حيـث جـاء فيه: أنتم أبناء الله. (تثنية ١٤).

وأشير إلى الشعب كله بأنهم أبناؤه وبناته. (٣٢ تثنية).

ووردت كذلك غير مرة في المزامير حيث قيل: قدموا للـرب يـا أبناء الله. (٢٩)، و – من يشبه الرب بين أبناء الله. (٨٩).

وكذلك وردت في هوشع وجاء فيه من خطـاب الشـعب: أنـتم أبناء الله الحي.

أما في العهد الجديد فمخاطبة الله باسم الآب وردت في الصلاة التي تبتدئ بدعاء الله: أبانا الذي في السموات – وحيـث قـال السـيد المسـيح للتلاميذ إن – أباكم واحد هو الذي في السـموات – وحيـث تكلـم عـن ولادة الروح وولادة الجسد وكل ولادة للروح فهو بنوة لله».

وكما فعل العقاد مع كلمة «ابن الله» فعل نفس الشيء مع كلمة «ابن الإنسان».

فاستعرضـها في كتـب العهـد القـديم باللغـة الآراميـة وباللغـة العبرية، وضرب الأمثلة من سفر حزقيال وسفر دانيال. واستعرضها

في كتب العهد الجديد وضرب الأمثلة من إنجيل متى وإنجيل لوقا.

ويخلص العقاد في النهاية وبعد ذلك كله إلى قوله:

«وغني عن القول أن هذه الأسماء إنما كانت تفهم كما تعود قراء الكتب الدينية أن يفهموها في ذلك الحين، ولم يوص السيد المسيح تلاميذه أن يفهموا منها غير ذلك حين يذكرون – ابن الله – أو – ابن الإنسان».

** والحقيقة أن قضية «الأبوة الإلهية والبنوة لله» وإطلاق تعبير: «ابن الله» على عيسى عليه السلام في الأناجيل تناولها فريقان من المفكرين والعلماء والباحثين مع اختلاف في الرأي ووجهة النظر، ونستطيع من باب التيسير على القارئ وتبسيط القضية تسمية الفريق الأول: فريق «شارل جنيبر» و «أبو زهرة».

وتسمية الفريق الثاني فريق: «تولستوى» و «العقاد».

* الفريق الأول ينكر أصلا ورود تعبير ابن الله في الأناجيل الصحيحة، كما ينكر بالطبع إطلاق المسيح عليه السلام على نفسه تعبير ابن الله.

ومن أنصار هذا الفريق على سبيل المثال وليس الحصر كما ذكرنا من الأجانب «شارل جنيبر» أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس.

ومن عندنا من مفكري العرب والإسلام الإمام الشيخ محمد أبو زهرة.

فشارل جنيبر يقول:

«كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير- ابن الله – على عيسى؛ فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع...».

ويقول أبو زهرة:

«إن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل..».

* أما الفريق الثاني فيؤمن ويعتقد بأن تعبير «ابن الله» وغيره مما شابهه على درب الأبوة الإلهية والبنوة لله قد ورد فعلا في الأناجيل الصحيحة، وجرى فعلا على لسان السيد المسيح عليه السلام، ولكن على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة، ولا تؤخذ بالحرف بل بالمعنى!

ومن أنصار هذا الفريق على سبيل المثال أيضًا وليس الحصر من المفكرين الأجانب فيلسوف وأديب روسيا العملاق «تولستوى».

ومن عندنا عملاق الفكر العربي والإسلامي عباس محمود العقاد.

فيقول تولستوى كما سبق وذكرنا:

«والمسيح نفسه سمي نفسه ابن الله من جهة التعميم، كما كان يسمي تلامذته وسائر الناس أبناء الله».

ويقول أيضًا في ذلك:

«ولقد اتخذت الكنيسة ذلك حجة لتأييد دعواها على أن المسيح هو ابن حقيقي لله، كما أنني لاون بن نقولا تولستوى، معاذ الله إن هذا إلا ضلال مبين، وافتراء على مقام الله الواحد الصمد، المنزه عن الشريك».

ويقول العقاد كما سبق وذكرنا:

«والأبوة الإلهية قد وردت في مواضع متعددة من كتب الأنبياء».

ثم يقول عن ذلك:

«وغنى عن القول: إن هذه الأسماء إنما كانت تفهم كما تعود قراء الكتب الدينية أن يفهموها في ذلك الحين ولم يوص السيد المسيح تلاميذه أن يفهموا منها غير ذلك حين يذكرون ابن الله أن ابن الإنسان».

** والحق والصواب لا شك مع الفريق الثاني فريق تولستوى والعقاد؛ لأن تعبيرات الأبوة الإلهية والبنوة لله واردة وثابتة وموجودة كما يقول العقاد في مواضع متعددة من كتب الأنبياء كل الأنبياء، أي: كتب العهد القديم والعهد الجديد، وكل الكتب السابقة للأناجيل.

هذا والأمثلة والنصوص التي ذكرها واستشهد بها تولستوى والعقاد من كتب العهد الجديد أكثرها من إنجيل لوقا ومتى وليس من الإنجيل الرابع.

ومثل هذه التعبيرات لا غنى على الإطلاق عنها؛ فهي كما ورد على لسان السيد المسيح في إنجيل برنابا بمثابة «ترجمان» بيننا وبين الله، بشرط ألا نأخذها بالحرف ولكن بالمعنى، وما أعظمها من كلمة، أي: كلمة «ترجمان»، ما أعمقها وأعظمها لو تدبرناها جيدًا، فعظمة الحق وقدرته وعدالته ورحمته، وكل معاني القدرة والعظمة الإلهية يصعب فهمها جيدًا والإحاطة بها، وتوصيلها لنا كبشر من غير اللجوء لتعبيرات من هذا النوع؟!

* بل إننا في ظل خاتم الرسالات كما هو معلوم يرد الحديث عن يد الله مع الجماعة، والنظر إلى وجه الله الكريم، وقوله تعالى في الحديث القدسي: «الفقراء عيالي»! فالحديث إذن وارد بتعبيرات مثل يد الله، ووجه الله، وعيال الله دون الوقوع في شبهة «تجسيم» من قريب أو بعيد، فليس كمثله شيء، وسبحان الله وتعالى عما يصفون!

** وليست المشكلة إذن في ورود تعبيرات من هذا النوع؛ لأنه لا مفر منها كترجمان بيننا وبين الله كما يقول السيد المسيح، ولكن المشكلة على أي محمل وبأي معنى نتناول ونفهم مثل هذه التعبيرات؟!

* المشكلة ليست في ورود تعبيرات الأبوة الإلهية والبنوة لله، فورودها كما يقول السيد المسيح مكتوب منه أمثال كثيرة عند كل الأنبياء!

وهذه التعبيرات وهذه الأسماء لم يبدأها ولم يخترعها ولم يضعها من عنده يوحنا الحواري الجليل أو بولس الرسول، وليست المشكلة في ورودها كما ذكرنا، وإنما المشكلة فيما حدث بعد ذلك، أي: فيما وضع لها من تفسيرات شاذة وتخريجات ضالة ومضلة وضعها آباء الكنيسة، وعلى رأسهم بالطبع بولس الرسول، حسب الهوى والغرض، والعمل على إرضاء ومداهنة السلطة الرومانية الحاكمة من جانب، والعمل من جانب آخر على مداهنة واستقطاب الأتباع الجدد من بين أصحاب ديانات الشرك ومذاهب التثليث من حولهم، على زمان انتشار ونشر المسيحية في أيامها الأولى في القرن الميلادي الأول!

** إن مشكلة أصحاب الفريق الأول، أي: فريق «شارل جنيبر» و «أبو زهرة» ومن سار على دربهم من السابقين أو اللاحقين لهم أنهم افترضوا أمرا واعتبروه من المسلمات التي لا تحتمل الخطأ، ثم راحوا يبنون على هذا الفرض سلسلة من الاستنتاجات والفروض الأخرى التي يسهل بالطبع إثبات عدم صحتها في حالة إذا ما ثبت خطأ فرضهم الأول!

* لقد افترضوا في البداية كما قال «شارل جنيبر» وكما يعتقد: أن الأناجيل الصحيحة في الأصل لا يسمح أي نص من نصوصها بإطلاق تعبيرات الأبوة الإلهية والبنوة لله على عيسى عليه السلام، وأن هذه لغة بدأ استخدامها فقط مع القديس بولس، ومع مؤلف الإنجيل الرابع!

* ثم افترضوا بناء على ذلك أن هذا الإنجيل الرابع بهذه التعبيرات إنما كتب خصيصا لإثبات ألوهية المسيح ولاهوت عيسى عليه السلام.

* وبناء عليه كان رأيهم النهائي والأخير أن هذا الإنجيل الرابع لا يمكن أن يكون كاتبه هو يوحنا الحواري الجليل ابن خالة السيد المسيح! وإنما هو إنجيل مزور نسب زورا ليوحنا، وأنه لا رابطة بينه وبين يوحنا ولو أوهى رابطة، أو أنه من وضع أحد رجال الفلسفة من أبناء الجيل الثاني للحواري يوحنا الصياد الجليل، وأن «كافة» إنجيل يوحنا الموجود بين أيدينا الآن في رأي البعض مثل «استادلن» والدكتور أحمد شلبي من تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، خاصة وأن التأليف الفلسفي روح مدرسة الإسكندرية، وكذلك عقيدة التثليث عقيدة مدرسة الإسكندرية كما يقول الدكتور أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

* وربما شجعهم على ذلك اللهجة الفلسفية التي كتب بها هذا الإنجيل، وخاصة بدايته والتي جاء فيها:

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله».

** يضاف إلى ذلك مشكلة أخرى أو عيب آخر عند أصحاب الفريق الأول فريق «شارل جنيبر وأبو زهرة» ومن وافقهم على رأيهم في قضية الإنجيل الرابع: ذلك أنهم في حكمهم ونظرتهم لهذا الإنجيل، ومن يكون صاحبه أو واضعه كانوا بصراحة من أصحاب

النظرة الأحادية، أو بصريح العبارة: النظرة الضيقة التي تصنع للأمر وللقضية احتمالا واحدا فقط في كل مساراتها لا احتمال لسواه، أي لغيره! لم يكلفوا أنفسهم ولم يحاولوا مجرد النظر في احتمالات وافتراضات أخرى واردة بجوار ما افترضوه في كل مسارات القضية ومراحل تسلسلها!

* لقد افترضوا أن تعبيرات الأبوة الإلهية والبنوة لله في الإنجيل الرابع «موضوعة»! وأنها موضوعة بغرض إثبات ألوهية المسيح، وأن واضعها ليس يوحنا الحواري الجليل!

ومن الوارد بل الصحيح أن يكون واضعها وكاتبها يوحنا الحواري الجليل، بل وسمعها من فم السيد المسيح، ولا يعني على الإطلاق بها تأليه السيد المسيح كما فهم ذلك تولستوى والعقاد ومن سار على دربهم!

* وافترضوا أن إنجيل يوحنا، بل كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية الفلسفية؛ لما ورد فيه من نصوص ذات صبغة فلسفية كما في بدايته، وكما يرى ويعتقد ويؤمن بذلك استادلن والدكتور أحمد شلبي!

ومن الوارد بل الصحيح أن تكون هذه النصوص الفلسفية من إضافات طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، ولكن يبقى صلب الكتاب ومعظم الإنجيل لصاحبه الأول الحواري الجليل يوحنا الصياد ابن خالة السيد المسيح.

إننا نؤمن يقينا بأن هناك تحريفا طال هذه الكتب المقدسة، ولكن من قال: إن التحريف يعني تغيير وتبديل «كافة» الإنجيل؟! إن التحريف يعني: إضافة نص أو إسقاط نص، أي: زيادة هنا أو نقصان هناك! ولم يقل أحد أبدا ولا يعقل أبدا أن نقصد بتحريف إنجيل من الأناجيل أن يكون «كافة» الإنجيل من تصنيف فرد بمفرده!

** نقول هذا؛ لأن من يقرأ ويدرس بعناية إنجيل يوحنا الموجود بيننا حاليًا وبصورته الحالية سوف يجد فيه من الرواية والأحداث والنصوص ما يعجز عن قوله وكتابته أي فيلسوف، أو أي شخص آخر غير يوحنا الحواري الجليل ابن خالة المسيح! بل إن يوحنا نفسه كما يقول الدكتور «بوست» لا يستطيع تأليفه بدون إلهام من ربه!

والأصح من ذلك بالنسبة لعبارة الدكتور «بوست» أن يقول: «لا يستطيع يوحنا تأليفه إلا بسماع من السيد المسيح، ولا يقوله السيد المسيح إلا بإلهام ووحي من ربه».

* ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر وكنموذج واحد ما ورد في إنجيل يوحنا عن «المعزى» صلب موضوع هذا الكتاب.

** فما هو نبأ «المعزى» وخبره وبياناته ودلالاته وأماراته من واقع الإنجيل الرابع إنجيل يوحنا؟!



الفصل الرابع

إنجيل يوحنا والمعزى



إن من يدرس الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا دراسة مقارنة جادة ومتأنية وعميقة، وأراد أن يخرج من دراسته بأمر خاص مميز، أو سمة، أو خاصية فريدة ينفرد ويتميز بها الإنجيل الرابع عن سائر الأناجيل، أي عن متى ومرقس ولوقا، فلن تكون هذه السمة والخاصية، ولن يكون هذا الأمر بأي حال من الأحوال هو إثبات ألوهية المسيح، أو أن هذا الإنجيل الرابع قد كتب أو وضع خصيصا – كما يردد أو يتصور البعض – لإقرار ألوهية المسيح، أو النص على لاهوت عيسى عليه السلام!

* وإنما السمة أو الصفة أو الخاصية المميزة، والأمر الخاص المميز الذي يفرق ويميز الإنجيل الرابع وينفرد به إنجيل يوحنا عن سائر الأناجيل بحق إنما هو الحديث عن «المعزى»!

ذلك لأن أناجيل المقابلة الثلاثة متى ومرقس ولوقا لم يرد بأي واحد منها كلمة واحدة أو حرف واحد عن المعزى.

لقد ورد ببعضها كما في متى ومرقس إشارات أو كلمات عابرة عن أنبياء أو مسحاء كذبة سوف يقومون أو يظهرون، ولكن لم يرد بأي واحد منها أي عبارة أو إشارة أو كلمة واحدة عن المعزى الذي ورد ذكره فقط في الإنجيل الرابع، أي: إنجيل يوحنا.

* والحديث عن المعزى في إنجيل يوحنا لم يرد في كلمة عابرة أو في نص أو نصين، وإنما ورد في أكثر من إصحاح، وفي أكثر من نص.

لقد ورد الحديث عن المعزى في إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر، وكذلك الخامس عشر، والسادس عشر.

في الإصحاح الرابع عشر ورد في ثلاثة نصوص، أو ثلاث آيات هي رقم ١٦- ١٧- ٢٦.

وفي الإصحاح الخامس عشر ورد الحديث عنه في النص رقم ٢٦.

وفي الإصحاح السادس عشر ورد الحديث عن المعزى حديثًا مطولا استغرق تسعة نصوص متصلة، أو تسع آيات متصلات، ابتداء من النص أو الآية رقم ٧ وحتى رقم ١٥.

* والحديث عن المعزى نوع من أنواع الإخبار عن غيب يقع في المستقبل، وبشارة بمجيء مبعوث يبعث، ويأتيهم بعد ما ينطلق السيد المسيح عليه السلام.

** والإخبار عن المعزى ونبأ إرساله ومجيئه الذي ورد الحديث عنه في إنجيل يوحنا وحده دون غيره من الأناجيل المصرح بها حاليًا إنما ورد بطريقين:

الأول: بإطلاق تعبير أي مسمى معين يشير إليه.

الثاني: بذكر دلالات وأمارات معينة من عمل هذا المعزى تدل عليه.

ومن ذلك نستطيع – ومن واقع إنجيل يوحنا بوضعه الحالي – أن نضع أيدينا على مسميات أربع وخمس أمارات تشير إلى وتدل على هذا المعزى الذي يأت ويبعث ويرسل بعد المسيح عليه السلام.

* أما المسميات أو الأسماء الأربعة التي أطلقت في إنجيل يوحنا بصورته الأخيرة والحالية على المعزى المبعوث بعد المسيح عليه السلام فهي:

أولاً: «معزيا آخر»:

جاء في الإصحاح الرابع عشر – ١٦

«وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد».

ثانيًا: «المعزى»:

وقد ورد في أكثر من نص منها على سبيل المثال:

– في الإصحاح الخامس عشر – ٢٦

«ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب... ».

– وفي الإصحاح السادس عشر – ٧

«لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى».

ثالثًا: «الروح القدس»:

جاء في الإصحاح الرابع عشر – ٢٦

«وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء...».

رابعًا: «روح الحق»:

وهي أكثر المسميات تكرارًا.

وفي الإصحاح الرابع عشر – ١٧

«روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله...».

وفي الإصحاح الخامس عشر – ٢٦

«ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي».

وفي الإصحاح السادس عشر – ١٣

«وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ..».

** وأما الدلالات أو الأمارات، أي: العلامات الخمسة الدالة على هذا المبعوث المبشر به في إنجيل يوحنا، فهي من جنس عمله المكلف به، وصلب رسالته المبعوث بها.

والدلالات أو الأمارات هي المدلولات أو المعلومات، وهي

بالإنجليزية: DATA ومفردها DATUM، وهي تعني أيضًا بيانات أو حقائق أو وقائع.

ومن مجموع هذه المعلومات أو الأمارات نصل إلى شخص المبعوث الذي تقصده وتعنيه النصوص أو الآيات صاحبة هذه الأمارات والدلالات.

*** وهذا أسلوب وارد ومتكرر في الكتب الدينية، وعلى سبيل المثال وليس الحصر ومن واقع كتاب الله الكريم آخر الكتب المنزلة، وآخر وحي بين السماء والأرض، حيث قال تعالى في الآية الثالثة والثمانين من سورة الكهف:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣].

ثم يعطي الحق تبارك وتعالى بعد ذلك عدة مدلولات أي DATA، أي معلومات من تاريخ وواقع أعمال ذي القرنين هذا، وعلى هديها لك أن تبحث عن شخص ذي القرنين بنفسك بعد ذلك.

ففي آية قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].

وفي آية قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦].

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا

تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠].

وفي آية أخرى تخبر بما فعله بيأجوج ومأجوج قال تعالى:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥].

وهكذا هذه الآيات والنصوص الكريمة مدلولات وأمارات ومعلومات تشير إلى شخص ذي القرنين دون تحديد شخصه، ومن هو بالاسم في التاريخ البشري.

وفي البحث عن ذي القرنين قد نختلف حسب ما لدينا من معلومات، وحسب اختلاف قدراتنا في الاجتهاد، وقد نخطئ ونصيب، وهناك من قال يومًا: هو «الإسكندر الأكبر»، وهناك من يراه «قورش العظيم»، وهكذا.

بل إن الاجتهاد هنا في حالة ذي القرنين قد يشق ويأخذ في مساره نفس الطريقين: فقد يبدأ من منطلق المسمى، أي التعبير الذي أعطى له، أو من منطلق الأمارات والعلامات التي نسبت إليه وتشير إلى أعماله وخصاله.

وعلى جانب المسمى في ذي القرنين هناك من اجتهد على أساس أن القرن هنا يعني القرن الموجود في هيئة التاج الذي كان يلبسه الشخص المعنى بذي القرنين.

وهناك من اختلف واعترض على ذلك وقال: إن القرن بمعنى

هذا العضو الموجود في رأس الأنعام غير وارد في القرآن، ونسبها إلى المقصود بكلمة القرن كما وردت في القرآن، أي نسبها إلى الزمان، بمعنى الإشارة إلى شخص يمتد تأثيره على مدى قرنين من الزمان، وليس قرنًا واحدًا!

وفريق منهما بالقطع هو وحده الصحيح، ولكنه الفريق الذي تصدقه وتؤيده الأمارات والدلالات الواردة في صلب الآيات التي تشير إلى أعماله وخصاله.

* والأمثلة كثيرة، وما يقال عن ذي القرنين يقال عن «فرعون موسى»، فالمسمى له اعتباره، كما أن الأمارات على الأفعال لها اعتبارها!

وحول المسمى – أي «فرعون» – اختلف الباحثون والمجتهدون، فاعتبره البعض اسمه فعلا؛ لأن الله لم يقل كما يتصورون في قرآنه الكريم «الفرعون»، والبعض الآخر اعتبره إشارة إلى حاكم مصر على العموم مثل قيصر عند الروم، وكسرى عند الفرس.

ولكن الأمارات والمعلومات الواردة في شأنه في كتاب الله الكريم تكمل وتوضح وتنير الطريق للباحث، ومن هذه الأمارات قد تختلف ويخرج البعض بالإيمان والاعتقاد بأنه فرعون واحد قد يكون «رمسيس الثاني» أو «منفاح»!

وقد يرى البعض الآخر أنه «فرعونان» – إن صح تثنيتها على

فرعونين! – فرعون العذاب والاضطهاد، وفرعون الخروج.

والمؤكد في النهاية حينما يصل الباحثون والعلماء في دراستهم للآثار والتاريخ إلى ما يعد من الحقائق العلمية التي لا تحتمل الشك في أمر فرعون وموسى سوف نصل يومها إلى معرفة من هو المعنى بفرعون موسى على وجه الحقيقة واليقين، وسوف يكون بالضرورة مطابقًا في أعماله لما ورد في كتاب الله الكريم؛ لأنه وحي يوحى، وكتاب الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين!

ونفس الشيء يقال عن ذي القرنين!

* ونفس الشيء أيضًا يقال عن «المعزى» مع الفارق؛ ذلك لأن القرآن كتاب الله وكلامه الموحى على نبيه، أما الأناجيل فهي كلام تلاميذ أو تلاميذ تلاميذ السيد المسيح، أي تقابل في الإسلام المحمدي الحديث النبوي الشريف، فمنها أي من الأناجيل، ومنه أي الحديث النبوي هناك الصحيح والمكذوب.

ونكرر التنبيه إلى أنه إذا وجد مكذوب أو منحول أو مزور في إنجيل من الأناجيل فلا يعني هذا على الإطلاق أن الإنجيل كله مكذوب أو منحول!

** وما ورد في إنجيل يوحنا عن «المعزى» ليس في المكذوب بإذن الله، والخلاف بشأنه إنما هو خلاف في الاجتهاد حول شخص المعزى، ومن هو على وجه الحقيقة واليقين، وبالعقل والمنطق، ومن

واقـع المسـميات والـدلالات والأمـارات الـواردة في النصـوص والآيات.

والحال في مسار البحث عن المعزى كان وما زال كبير الشبه بما حدث ويحدث مع ذي القرنين وفرعون موسى وغيرهم؛ فهناك من ركز في اجتهاده حول المسمى أو التعبير الذي أطلق عليه في الكتاب المقدس إنجيلاً أو قرآنًا، وهناك من ركز أو يركز على الأمارات التي تشير إلى أعماله وخصاله!

والمفروض بديهة وعقلا الجمع بين الأمرين، وعدم التركيز على جانب دون الآخر، أو الاعتماد على جانب أكثر من الآخر حتى نصل إلى الحقيقة.

* إن هناك من ركز في تحديده لشخص المعزى على تسميته في أحد نصوص إنجيل يوحنا بالطبع بكلمة الروح القدس، فاعتبره «جبريل» عليه السلام، مع أن هناك له أكثر من مسمى آخر مثل «روح الحق» كما سبق وذكرنا.

ولن نصل إلى الحقيقة من التأمل والبحث فيما أطلق عليه من مسميات أو تعبيرات فقط، وإنما لابد من تأملها والبحث فيها بجوار ما جاء بخصوصه من أمارات تشير إلى صلب رسالته، وتشير إلى أعماله وخصاله! وهذه الأمارات كما وردت في إنجيل يوحنا، وكما سبق وذكرنا خمس أمارات! فما هي هذه الأمارات وما هي

النصوص الدالة عليها؟!

❊❊ هذه الأمارات بترتيب ورودها في إنجيل يوحنا الإنجيل الوحيد من بين الأناجيل المعترف والمصرح بها، والذي تعرض لهذا الموضوع موضوع «المعزى» هي كما يلي:

أولاً: أنه يمكث مع البشرية برسالته إلى الأبد.

فقد جاء في الإصحاح الرابع عشر – ١٦

«وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد».

ثانيًا: أنه يعلم الناس كل شيء ورسالته جميع الحق.

فقد ورد في الإصحاح الرابع عشر – ٢٦

«وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم».

كما ورد حول نفس المعنى في الإصحاح السادس عشر- ١٣.

«وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق».

ثالثًا: أنه يشهد للسيد المسيح ويمجده.

فقد ورد في الإصحاح الخامس عشر – ٢٦

«ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق

الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي».

وجاء أيضًا في الإصحاح السادس عشر – ١٤

«ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم».

رابعًا: أنه لا يتكلم من نفسه، وإنما كلامه وحي يوحى.

فقد ورد في الإصحاح السادس عشر – ١٣

«وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به..».

خامسًا: أنه يخبر بأمور غيبية أي آتية في المستقبل.

فقد ورد في الإصحاح السادس عشر آخر النص ١٣

«ويخبركم بأمور آتية».

* هذه هي الأمارات الخمسة DATA الدالة على شخص المعزى المبعوث بعد السيد المسيح عليه السلام.

** يضاف إليها أمر هام هو من البدهيات بحيث لا نستطيع اعتباره أمارة أو دلالة سادسة، ولكنه بالأهمية بحيث ينفعنا في ترجيح جانب على الآخر في الخلاف حول شخص المعزى، وفي استبعاد أن يكون المعزى هو الروح القدس بمعنى جبريل عليه السلام.

وهذا الأمر البديهي إنما نعني به أن المعزى لا يجيء ولا يبعث في حياة ووجود السيد المسيح، وإنما يجيء بعد انطلاق المسيح عليه السلام، أي أنهما لا يتواجدان معًا أو سويًا في عصر واحد.

فقد ورد في الإصحاح السادس عشر – ٧

«ولكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى».

* فمن هو يا ترى هذا المعزى؟ ومن هو يا ترى هذا المبعوث بعد زمان السيد المسيح عليه السلام، والذي تنطبق عليه هذه المواصفات والمعلومات الوارد ذكرها بخصوص المعزى في إنجيل يوحنا؟!

** هذا مع ضرورة مراعاة أن ثبوت مجيء المعزى بنفس مواصفاته الواردة في إنجيل يوحنا إنما يؤكد ويثبت يقينا، وبما لا يدع أي مجال للشك أن صاحب هذا الإنجيل الرابع هو فعلا الحواري الجليل صاحب الفم الذهبي يوحنا الصياد ابن خالة السيد المسيح عليه السلام!

ذلك لأن الإخبار عن المعزى بمدلولات معينة هو إخبار عن غيب! وذلك لا يقدر عليه ولا يقدم أصلاً عليه أو على مجرد محاولة تصنيفه طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية قديمًا، كما يعتقد أو يتصور البعض، كما لا يقدر عليه ولا يقدم عليه أيضًا يوحنا.

الجيل الثاني الذي هو من أفسس!

إذ من أين لهذا أو لذاك أن تصدق نبوءته؟ وما الذي يدفعه إلى المخاطرة بالتأليف على هذا النحو، خاصة وأن باقي الأناجيل لم تتعرض أصلاً لهذا الموضوع من الأصل موضوع المعزى؟!

* إن كل أخبار ودلالات المعزى غيب من الغيب، ولا يذكر الغيب إلا صاحب وحي، وهو هنا السيد المسيح، وأنسب من ينقله عنه الأكثر قربًا له، والأكثر سماعًا منه، وهو هنا الأثير لديه، والمحبب إليه ابن خالته، أو من هو من أبناء خؤولته الحواري الجليل يوحنا بن زيدي الصياد.

وسمعه أيضًا وذكره أيضًا غيره مثل برنابا، ولكنا هنا نقصر كلامنا على ما هو مصرح به من أناجيل اعتمدتها وأقرتها الكنيسة.

* وصحة نسبة هذا الإنجيل الرابع الموجود والمتداول بيننا الآن للحواري الجليل يوحنا لا يعني خلوه بصورته الحالية من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان! وإنما التحريف كما سبق وذكرنا إنما يقع في جزئيات، وليس في كل الإنجيل كما يتصور البعض من هؤلاء الذين يسارعون إلى أحكام كلية غير معقولة، يدعون فيها نسبة إنجيل يوحنا بأكمله لطالب في مدرسة الإسكندرية، أو ينفون وجود كلمة واحدة فيه للحواري الجليل يوحنا، أو ينفون وجود أي رابطة ولو أوهى رابطة بينه وبين الحواري الجليل كما تقول دائرة المعارف

البريطانية؟!

* وكما تعرض الإنجيل للتحريف تعرضت التوراة أيضًا للتحريف، وكمثال للتحريف، وكيف يكون في جزئيات نسوق نموذجا من واقع التوراة، وذلك على سبيل المثال وليس الحصر بالطبع.

الإصحاح السادس عشر تكوين – ١٦ ورد به:

«كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام».

والإصحاح الحادي والعشرون تكوين – ٥ ورد به:

«وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه».

والإصحاح الثاني والعشرون تكوين – ٢ ورد به:

«فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحب إسحق، واذهب إلى أرض المريا».

والمتأمل في النصوص الثلاثة يدرك ببساطة ومن أول وهلة أن هناك تحريفًا وقع يتمثل في مقولة: «وحيدك الذي تحبه إسحق»؛ لأنه بالعقل والمنطق ومن واقع النصوص الثلاثة لم يكن إسحق وحيده في يوم من الأيام، أو في لحظة من اللحظات؛ فقد ولد وهناك إسماعيل ابن أربعة عشر عامًا! ومعنى هذا أن الذي قام بالتحريف هنا قد وضع كلمة إسحق محل إسماعيل لشيء في نفس يعقوب، وللهوى

والغرض والتعصب العقائدي.

وهكذا يكون التحريف عادة إسقاط نص، أو إضافة نص، أو استبدال كلمة بكلمة، أو عبارة محل عبارة! أما أن يقال في مثالنا المطروح: إن كل ما ورد عن إبراهيم وإسماعيل وهاجر وإسحق في سفر التكوين تحريف واختلاق، ومن وضع وتصنيف بشر، فهذا ما لا يعقله عاقل، ولا يقول به منصف، أو باحث مدقق.

** وكذلك في حالتنا مع إنجيل يوحنا الموجود بيننا حاليًا ندرك جيدًا أنه من بين الأسباب العديدة التي دفعت البعض للتشكيك في هذا الإنجيل البداية الفلسفية التي بدأ بها الإنجيل، والنهاية الغامضة التي اختتم بها الإنجيل.

ففي البداية كما سبق وذكرنا ورد النص القائل:

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله».

وهذا فعلاً أسلوب طلاب الفلسفة في الكتابة!

وفي النهاية ورد النص القائل:

«هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق».

فمن هو التلميذ؟ ومن هو الذي يعلم أن شهادة هذا التلميذ

حق؟! أي من الذي كتب؟ ومن صاحب ضمير المتكلم في كلمة «نعلم» والذي يشهد له؟! ولكن هل يعني ذلك على غموضه أن كل ما هو مكتوب في إنجيل يوحنا على مدى واحد وعشرين إصحاحًا كله من باب التحريف والتزوير والتأليف والاختلاق؟ من يقبل القول بهذا أو يعقله؟!

* وإنما الصواب الذي يعقل ويقال ويسمع أن نقول: إن صلب الإنجيل بإصحاحاته الواحد والعشرين، وما به من معلومات وأخبار عن السيد المسيح مع تلاميذه ومع الناس ومع السلطة، وما به من أخبار عن المعزى وردت على لسان السيد المسيح! كل ذلك من قول ورواية الحواري الجليل يوحنا تلميذ المسيح، ولا يقدر على سردها غيره، ولا يمنع ذلك من تعرض هذا الإنجيل بعده كغيره من كتب العهد القديم والجديد من تحريفات وإضافات وتبديل وتغيير في جزئيات على يد آخرين على مدى التاريخ الطويل!

* وبعد هذا التنبيه والإيضاح الذي لا بد منه نعود مرة ثانية للسؤال الهام الدائر حول صلب موضوع هذا الكتاب وهو: من يا ترى يكون المعزى من واقع الأمارات والدلالات الخمسة السابق طرحها وذكرها بنصوصها في إنجيل يوحنا وحده دون سائر الأناجيل؟!

***



الفصل الخامس

المعزي محمد ﷺ

من هو إذن المعزى الوارد الحديث عنه والتبشير به في الإنجيل الرابع إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر؟

* وقبل البحث فيمن هو هذا المعزى على وجه الحقيقة واليقين لابد من الإشارة والتنبيه إلى قضية «لغوية» هامة تخص كلمة المعزى نبه إليها مشددًا الأستاذ رءوف أبو سعدة في كتابه القيم «من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن» الجزء الثاني، وذلك في بحثه عن كلمة الإنجيل.

لقد نبه المؤلف في بحثه إلى أن كلمة «المعزى» في الأناجيل المترجمة بالعربية لم تكن موجودة قبل هذا القرن! ومحلها ومكانها حتى أوائل هذا القرن كانت توجد بدلاً منها كلمة «فارقليط».

وقصة التحول من كلمة «فارقليط» والعدول عنها إلى كلمة «المعزى» يصوغها الأستاذ رءوف أبو سعدة مسلسلة كالآتي بنص كلامه:

يقول أولاً: «والذي ينبغي التنبيه إليه أن ترجمات الإنجيل بكل اللغات استبقت لفظة فارقليط على أصلها تحاشيا من التورط في ترجمة معناها إلى اللغة المترجم إليها، فقالت الترجمة العربية حتى أوائل هذا القرن: فارقليط، وقالت الترجمة العبرانية: برقليط، وقالت الفرنسية: de paraclet، إلخ».

ثم ماذا بعد هذا؟ يقول المؤلف بعدها:

«أما علماء المسلمين فقد دلهم بعض السريان من قديم على أن – فارقليط – هذه تعني في اليونانية – أحمد – التي في القرآن اسما لخاتم النبيين الذي بشر به عيسى قومه في القرآن».

وبعدها يقول المؤلف:

«وانتبه علماء المسيحية إلى خطورة هذا حين يقرؤه المسيحيون العرب الذين يعرفون على التحقيق معنى الاسم أحمد أو محمد في لغتهم العربية، ولا علم لهم بتلك اللغة اليونانية التي كتبت بها أصول الأناجيل وصيغت بها لفظة parak letos هذه التي استبقيت على أصلها فارقليط في الترجمات العربية حتى أوائل هذا القرن العشرين، فلا يستطيعون لمقولة علماء المسلمين هؤلاء دفعا».

فماذا إذن؟ يقول الأستاذ رءوف بعدها:

«قال علماء المسيحية إذن: إن parak letos اليونانية لا تعني قط أحمد، وإنما تعني المعزى فحسب، معقبين بأنها في الأصل اليوناني parak letos وليست periklitos، فليس في المتن شيء في معاني الحمد، وتوقفت ترجمات الإنجيل العربية عن استخدام لفظة – الفارقليط، ووضعت في موضعها لفظة – المعزى- قطعًا للجدل حول شبهة معنى الحمد في الاسم على مثال ما فعلت الترجمة الإنجليزية – comfortter».

* وتصديقا لكلام الأستاذ رءوف أبو سعدة يستطيع الباحث التأكد من ذلك بالاطلاع على أحد كتب التراث الهامة، وهو كتاب «إثبات نبوة النبي ﷺ» لصاحبه أبى الحسن أحمد بن الحسين بن هارون الهاروني الحسن الزيدي من «٣٣٣- ٤٢١هـ» تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج الطبعة الأولى الصادرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م حيث يقول المؤلف في الباب الثالث وعنوانه: «ذكر ما وجد في الكتب المتقدمة من البشارات بالنبي صلى الله عليه وعلى آله»، وفي ص ١٦٦ يقول المؤلف:

«وفي الإنجيل قال المسيح ﷺ للحواريين: «أنا ذاهب وسيأتيكم الفيرقليط. روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد علي به».

وفي حكاية يوحنا عن المسيح ﷺ: «الفيرقليط لا يجيئكم ما لم أذهب. فإذا جاء وبخ العالم على الخطية. ولا يقول من تلقاء نفسه شيئًا، ولكن مما يسمع به يكلمكم، ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب».

* وعلى الهامش يقول المحقق الأستاذ خليل أحمد إبراهيم في تفسير الفيرقليط: «الفيرقليط: بكسر الفاء كلمة عبرانية معناها: أحمد ﷺ، وفي كتب النصارى يكتبونها بفتح الفاء ليكون معناها المحامي والمؤيد والشفيع والنائب عن غيره، وهكذا، وهذا النص في إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر وما بعده، ومكتوب بدل فيرقليط

كلمة «المعزى» بضم الميم وفتح العين وتشديد الزاء مكسورة».

* وانتهى كلام المؤلف ابن القرن الرابع الهجري، والمحقق ابن القرن الرابع عشر الهجري، فلماذا عدلوا في القرن الأخير عن كلمة «فيرقليط» ووضعوا مكانها «المعزى»، إن لم يكن السبب الوحيد والتفسير الوحيد هو ما ذكره رءوف أبو سعدة صاحب كتاب «من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن»؟!

** هذه المعلومة الهامة والخطيرة الشأن والبالغة الأهمية عن كلمة – المعزى- وتاريخها مع الترجمات العربية لإنجيل يوحنا لم يكن في السهل عدم ذكرها، أو إغفالها، أو عدم تنبيه القارئ وكل باحث لها ونحن بصدد الحديث عن المعزى، ولكننا مع ذلك لن نحتج بها على أي مسيحي من منطلق أنه لا فائدة من أن نحتج على أحد من الناس بشيء ينكره! وهم حاليًا وفي الآونة الأخيرة أو القرن الأخير ينكرون ويتنكرون لكلمة فارقليط، ومعناها الحمد، والتي اختفت تمامًا من كل ترجمات القرن الأخير لإنجيل يوحنا، ويضعون محلها في كل ترجمة عربية كلمة «المعزى»، ومعناها المواساة! تمامًا كما أنه لا فائدة ولا جدوى من الجدل معهم والاحتجاج عليهم بشيء ورد في إنجيل «برنابا» لعدم اعترافهم به؛ وذلك على نفس المبدأ مبدأ عدم الاحتجاج على أحد بما ينكره!

* ذلك بالإضافة إلى أن هدف هذا الكتاب هو إثبات بقاء وجود محمد عليه أفضل الصلاة والسلام عندهم مكتوبًا في الإنجيل

رغم كل الحيل، وكل الحرص من جانبهم على اعتماد أناجيل بذاتها دون أخرى، واستبدال كلمات محل أخرى، ومع كل ذلك يشاء الحق تبارك وتعالى أن تفلت من بين أيديهم الحقيقة رغم كل ذلك ناصعة ناطقة، وواضحة وضوح شمس النهار!

* وفي النهاية ردا على سؤال من هو المعزى، ذلك السؤال العمدة، والسؤال الدائر حول صلب موضوع هذا الكتاب نستطيع أن نرد ونقول بكل الثقة واليقين: إنه محمد ﷺ بموجب الموجود والمكتوب، ومن منطلق النص المعترف به في إنجيل يوحنا بصورته الحالية والنهائية، وبموجب الأمارات، ومن منطلق المعلومات والدلالات الخمسة الوارد ذكرها في الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر في الإنجيل الرابع إنجيل يوحنا المتداول، والموجود بيننا حاليًا.

إن هذه الدلالات المحملة بها النصوص والآيات التي لا ينكرها مسيحي تكاد تنطق، أو هي فعلاً تنطق وتقول لكل ذي عقل ولكل باحث أمين محايد: هنا يوجد محمد بن عبد الله ﷺ، وبيان ذلك بإيجاز غير مخل، وتطويل وتفصيل غير ممل هو كالآتي:

أولاً: الأمارة أو الدلالة الأولى المعبر عنها في الإصحاح الرابع عشر – ١٦ بقول السيد المسيح:

«فيعطيكم معزيا أخر ليمكث معكم إلى الأبد».

وقد كان! فها هو محمد بن عبد الله ﷺ آخر الرسل وخاتم النبيين إلى أبد الآبدين، وحتى قيام الساعة، وقد قال تعالى في شأنه في القرآن الكريم:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وكان بعث محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعد المسيح بقرابة ستة قرون ميلادية وزيادة، ومضى على بعثته حتى الآن أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولم نسمع عن نبي جاء بعده على قدر وشأن أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد، وبقية رسل الله الكرام عليهم جميعًا السلام، وما ظهر أو يظهر بين الحين والآخر من بين الطوائف والملل الشاذة من قاديانية أو بهائية أو غيرهم في سائر الملل وسائر أنحاء العالم من مدعي نبوة لا يخرج عن دائرة الأنبياء، أو المسحاء الكذبة بلفظ السيد المسيح عليه السلام، ويبقى محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام وحده آخر وخاتم النبيين، ورسول الله إلى الناس أجمعين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإلى أن تقوم الساعة، كما ذكر القرآن الكريم، وكما جاء في إنجيل يوحنا بلفظ وكلام السيد المسيح: «ليمكث معكم إلى الأبد».

ثانيًا: الأمارة أو الدلالة الثانية، والمعبر عنها في الإصحاح الرابع عشر – ٢٦ بقول السيد المسيح:

«فهو يعلمكم كل شيء».

وكذلك معبر عنها في الإصحاح السادس عشر – ١٣ بقول السيد المسيح:

«فهو يرشدكم إلى جميع الحق».

هذا وقد ورد في إنجيل متى في الإصحاح الخامس – ١٧ قول السيد المسيح:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل».

وهذا يعني كما هو معلوم أن رسالة السيد المسيح رسالة مكملة؛ فهي رسالة روحية مكملة، والتشريع تشريع موسى من قبله عليهما وعلى نبينا السلام.

وما جاء المسيح وما بعث لكي ينقض، ولكن ليكمل، ومن يطلع على الإنجيل في كل صوره يجده هكذا عظات ودروسًا وعبرًا روحية، وأما التشريع والناموس فهو تشريع موسى عليه السلام من قبله.

وفي نفس الوقت بشر السيد المسيح بالمعزى القادم والمبعوث بعده، ومن أماراته وعلاماته، ومن صميم رسالته أن يعلم الناس كل شيء، ويرشدهم إلى جميع الحق!

* وقد صدق وقد كان! فها هو محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام يبعث من بعده برسالة الإسلام الكامل المتكامل! عقيدة وشريعة، وعبادات ومعاملات، وفرائض ونوافل، ودين ودنيا،

وسياسة واقتصاد، وحلال وحرام، وواجب ومستحب ومكروه، وحرب وسلم، وحدود وقصاص وتعزير!

يعلم ذلك جيدًا ويدركه في أول وهلة كل من اطلع على الإسلام من واقع الكتاب والسنة الصحيحة المطهرة.

علمهم رسول الله ﷺ كل شيء من سنن الطهارة والاستنجاء والحيض والاستحاضة وإماطة الأذى وحق الطريق، إلى فروض وسنن الصلاة والزكاة والصيام والحج، وعلمهم أركان الإيمان وأركان الإسلام، والكبائر والصغائر، وكل العلوم من علم التوحيد إلى علم الفرائض أي المواريث، فلم يرد تفصيل وبيان للمواريث في كتاب سماوي أو تشريع بشري بمثل ما ورد في القرآن الكريم.

نعم! تعليم كل شيء وتفصيل جميع الحق في الإسلام في الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

- تفصيل الإيمان والإسلام، وتعليم الكبائر والصغائر، وبيان الحلال والحرام.
- تفصيل الإيمان بالله، ورسوله، وملائكته، وكتبه، والقدر خيره وشره، والبعث والحساب.

- وتفصيل العبادات فروضها وسننها في: الصلاة، والزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.
- وتفصيل المعاملات: كل المعاملات.
- المعاملات السياسية، ومبادئ الشورى، والحرية، والعدالة، والمساواة، وحقوق الأقليات.
- والمعاملات المالية، والاقتصادية، والتجارية من: بيع، وشراء، وربا، وودائع، وعهود وعقود، وقرض ربوي، وقرض حسن، والحلال والحرام في: الإسراف، والادخار، والتقتير، والكنز، والاحتكار، والغش، والتسعير، والمقارضة، والمزارعة، والسلم! وأطول آية في كتاب الله عن التداين، وعقد الدين، وكتابته، وتوثيقه، والإشهاد عليه.
- والمعاملات الاجتماعية من: زواج، وطلاق، وخطبة، ونفقة، وحضانة، وحقوق للزوجة والأولاد.
- وتفصيل المعاملات الدولية في: الحرب والسلم، والتجارة، والعشور، وتبادل الأسرى.
- وتفصيل الحدود والقصاص والتعزير.
- وتفصيل الميراث والوصية.

نعم! يعلمهم كل شيء، ويرشدهم إلى جميع الحق، كما أخبر

وتنبأ بحق السيد المسيح في حديثه عن المعزى، كما ورد في الإنجيل الرابع إنجيل يوحنا الحواري الجليل صاحب الفم الذهبي.

ثالثًا: الأمارة أو الدلالة الثالثة المعبر عنها في الإصحاح الخامس عشر – ٢٦ بقول السيد المسيح:

«روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي».

والمعبر عنها كذلك في الإصحاح السادس عشر – ١٤ بقول السيد المسيح: «ذاك يمجدني».

ولم يشهد للمسيح أحد، ويمجده بحق وفي الحق بمثل ما فعل نبي الإسلام، وبمثل ما ورد في كتاب الله الكريم، وسنة نبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

وعلى سبيل المثال وليس الحصر بالطبع: قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۞ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٠- ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ومن السنة:

* أيضًا على سبيل المثال ما ورد بالحديث الشريف بمسند الإمام أحمد: حدثنا عبد الله، حدثني أبى، ثنا سرع، ثنا فليح، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أراني في المنام عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما ترى من الرجال، له لمة قد رجلت، ولمته تقطر ماءً، واضعًا يده على عواتق رجلين يطوف بالبيت، رجل الشعر. فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم**».

* وفي السيرة النبوية لابن هشام في قصة المعراج قال أبو سعيد الخدري في حديثه: إن رسول الله ﷺ قال: «**ثم أصعدني إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة: عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا**».

رابعًا: الأمارة أو الدلالة الرابعة، والمعبر عنها في الإصحاح السادس عشر – ١٣ بقول السيد المسيح:

«وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به».

ولك أن تتأمل هذا النص جيدًا، وتطابقه على ما جاء في القرآن الكريم عن خاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ

لقاءَنَا ائْت بقُرْآن غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ من تلْقَاءِ نَفْسي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥- ١٦].

نعم! لبث فيهم عمرا قبل ذلك أربعين عامًا يعلمون جيدًا أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يقل أحد، ولم يدع أحد من أحبابه أو أعدائه أنه خلال الأربعين سنة الأولى من عمره قد ألف كلاما أدبيًا من أي نوع شعرًا كان أو نثرًا! وفجأة جاءهم وفي سن الأربعين بهذا الكلام المعجز العظيم الخالد! وذلك؛ لأنه ببساطة شديدة ليس كلامه، وإنما كما سبق وقال السيد المسيح بالحرف الواحد ما ورد في الإصحاح السادس عشر – ١٣ من إنجيل يوحنا الحواري الجليل:

«لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به».

خامسًا: الأمارة أو الدلالة الخامسة، والمعبر عنها في الإصحاح السادس عشر آخر النص ١٣ بقول السيد المسيح:

«ويخبركم بأمور آتية».

وما أكثر ما أخبر به سيد ولد آدم المعصوم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام من أمور آتية أخبر بها قبل وقوعها، وصدقت وجاءت كما أخبر، وكما قال الصادق المصدوق بالحرف الواحد!

من ذلك ما ثبت وجاء بسنته القولية الشريفة، ومنه ما ورد وثبت بالنص المحكم والقطعي الثابت من كتاب الله الكريم.

* فمن سنته القولية كما هو معلوم ومشهور وثابت بكتب السيرة من مصادر وأسانيد صحيحة وموثوق بها أنه ﷺ وعد سراقة بسواري كسرى، وقد حدث.

ووعد صحابته بفتح بلاد كسري وقيصر وفتح مصر، وقد حدث!

وأخبرهم بأن الخلافة من بعده ثلاثون، ثم تكون ملكًا عضوضًا، وقد حدث!

وأخبر الزبير بن العوام في حضور على بن أبى طالب بأنه أي الزبير سوف يقاتل عليا وهو له ظالم، وقد حدث في موقعة الجمل!

وأخبرهم بأن عمارًا تقتله الفئة الباغية، وقد حدث في موقعة صفين!

وما أكثر ما أخبرهم به من أمور آتية، وقد حدثت كما أخبر بها الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام.

** وإذا وجد بين المستشرقين والعلمانيين وأعداء المسلمين من يشكك في صحة هذه الأحاديث، وهذه الأخبار النبوية الشريفة، فهناك الإخبار عن أمور آتية وثابت ذكرها بالنص القطعي المحكم، والثابت في كتاب الله الكريم الخالد، والمحفوظ بين أيدينا الآن، وإلى يوم الدين، وهي نوعان من الأمور الغيبية الآتية: أمور تاريخية، وأمور علمية بحتة.

* ومن الأمور التاريخية: ما اختص بزمن البعثة، وزمان نزول الوحي، ومن ذلك على سبيل المثال: إخباره عن انتصار الروم على

الفرس، فقد قال تعالى في أول سورة الروم: ﴿الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ١ - ٤].

وقد حدث هذا فعلا، وصدق الله ورسوله.

ومنها ما جاء الإخبار به في كتاب الله زمن نزول الوحي، ولم يتحقق ولم يحدث إلا في أيامنا هذه، أي بعد أربعة عشر قرنًا من الزمان بعد نزول القرآن.

ومن ذلك على سبيل المثال أيضًا إخباره عما يحدث لبنى إسرائيل من تذريتهم وتبديدهم وتقطيعهم بين الأمم، ثم المجيء بهم أخيرًا، وقد حدث هذا تمامًا وبالحرف الواحد في القرون الأخيرة، ما بين توزيعهم وشتاتهم بين الأمم في حارات اليهود «مجتمع الجيتو»، ثم المجيء بهم أخيرًا على أرض فلسطين باسم دولة إسرائيل.

قال تعالى في سورة الأعراف الآية ١٦٨: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]. وقال تعالى في سورة الإسراء الآية ١٠٤:

﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٤].

* وأما الأمور العلمية البحتة التي أخبر بها مع نزول الوحي في آيات بينات محكمات، فمن أقوى أنواع الإخبار بأمور آتية وأكثرها إعجازًا، ونعني بذلك الإخبار عن إنجازات وفتوحات علمية بحتة في

مختلف التخصصات، من رابع المستحيلات أن يتصورها مجرد تصور، أو يتنبأ بها، أو يتحدث عنها بأي حال من يعيش في القرن السابع الميلادي، إن كان المتحدث بشرًا لا يوحى إليه، وتثبت وتتحقق هذه الأخبار العلمية البحتة بعد ثلاثة أو أربعة عشر قرنًا من الزمان بعد نزول القرآن.

وحدث هذا في جميع التخصصات بلا استثناء من: طب، وفلك، وجيولوجيا، وزراعة، وجغرافيا، وفضاء مما يصعب في هذا المقام الإحاطة أو ضرب المثل بجميعها!

ونختار فقط على سبيل المثال وليس الحصر ثلاث مجالات علمية نستشهد بها، وهي: علم الأجنة، وعلم غزو الفضاء، وعلم جغرافيا الكرة الأرضية.

❖ في علم الأجنة:

قال تعالى عن وضع الجنين داخل بطن أمه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان: إنه داخل ظلمات ثلاث.

قال تعالى: **﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾** [الزمر: ٦].

وقال عن أطوار الجنين طبقًا لما أثبته أخيرًا علم الأجنة embreology وذلك بالحرف الواحد حيث قال تعالى في سورة «المؤمنون»: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً**

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٤].

❖ في غزو الفضاء:

قال تعالى عن صعود الإنسان إلى السماء:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وهو سلطان العلم، وقد كان!

وقال تعالى عن حال رائد الفضاء:

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وهذا ما أثبتته بالحرف الواحد أبحاث طب الفضاء بالنسبة لحال رائد الفضاء في حال صعوده إلى أعلى.

❖ وفي كروية الأرض:

قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥].

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحديد: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧].

فكيف يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل، ويولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويسلخ في الليل النهار دون أن تكون الأرض كروية؟ وكيف يقول بهذا ويردد هذا بشر في القرن السابع الميلادي ولا علم يومها لديهم عن حقيقة جغرافيا الأرض؟ اللهم إلا إذا كان وحيا من خالق السموات والأرض!

*** هذه هي الأمارات أو الدلالات أو البشارات الخمسة التي بشرت بمجيء المبعوث الجديد، والمعزى القادم، والمرسل بعد السيد المسيح من واقع النصوص الدالة على ذلك، والمعبرة عن ذلك في إنجيل يوحنا وحده.

وهي كما هو واضح بكل كلمة وبكل حرف فيها تكاد تنطق وتفصح وتقول: إنه هو، ولا أحد غيره محمد بن عبد الله المبعوث في جزيرة العرب للناس كافة من عجم وعرب، وإلى من بلغ إلى يوم الدين.

وكان بين بعثته وبعثة السيد المسيح أكثر من ستة قرون لم يبعث فيها رسول! وهو سيد المرسلين وخاتم الأنبياء بنص الكتاب والسنة، ولم يبعث فعلا و لن يبعث بعده نبي أو رسول إلى آخر الزمان.

* ولو كان المعزى الذي تحدث عنه السيد المسيح شخصًا آخر غير محمد بن عبد الله نبى المسلمين كما يتصور غير المسلمين ما شاء الله ولا شاءت إرادته في علاه أن يظهر نبي اسمه محمد بن عبد الله في جزيرة العرب تتوفر فيه، وتنطبق عليه بالحرف الواحد هذه

المواصفات الواردة في وصف المعزى، كما جاء على لسان السيد المسيح؟!

وكيف يبعث الله شخصين، أو يكلف الله اثنين بنفس المهمة والرسالة، ونفس الأمارات لنفس الناس؟!

* وهنا يفرض السؤال نفسه! ولابد من طرحه والإجابة عليه قبل ختام هذا الفصل عمن يكون هو المعزى؟

والسؤال: هل يمكن أن يكون جبريل عليه السلام هو المعزى؟

وهل يكفي لكي يكون جبريل عليه السلام هو المعزى ما ورد في الإصحاح الرابع عشر – ٢٦ الترجمة العربية ما نصه: «وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي...»؟

وإذا كان المعزى بصريح النص والعبارة هكذا في كلمتين «الروح القدس» أي جبريل، فلماذا الرمز بالأمارات والعلامات الواردة في سائر الآيات والنصوص؟!

وأيهما يعول ويعتمد عليه أفضل، ويصل بنا إلى الحقيقة على الوجه الصحيح؟ الاعتماد على ما أطلق عليه من مسميات، أم ما نسب إليه من أعمال وأمارات وعلامات؟!

* إننا مع المسميات وحدها نكون أكثر عرضة للوقوع في الخطأ، أو ارتكابه بسهولة، وذلك بقصد أو بدون قصد في ترجمة عن ترجمة من لغة إلى أخرى!

ومن السهل إسقاط «مسمى» وإحلال غيره محله، كما حدث مع مصطلح أو مسمى «فارقليط»!

* والمسميات وحدها ولو لم تتعرض لخطأ أو تبديل أو تغيير لا تهدي للحقيقة بسهولة، كما حدث على سبيل المثال مع الفارق في حالة «ذي القرنين»؛ حيث اعتمد كثير من المجتهدين والمفسرين على مسمى ذي القرنين نسبة إلى شكل التاج، وظلوا السنين الطوال يعتقدون أنه الإسكندر الأكبر المقدوني، مع أن التأمل في الأمارات والعلامات الواردة في الآيات الخاصة به تبتعد بنا كثيرًا عن الاعتقاد بأنه الإسكندر الأكبر! ففتوحات الإسكندر ومسيرته كانت من الشمال إلى الجنوب كما هو معلوم، أما عن ذي القرنين فمسيرته كانت ما بين مشرق الشمس ومغربها، أي: أفقيا، وليس رأسيًا، وكان الإسكندر جبارًا كافرًا ظالمًا، وكان ذو القرنين صالحًا مع من آمن وعمل صالحًا، ويعذب فقط من كان ظالمًا!

ومن هنا ومع الأخذ في الاعتبار بالأمارات مع المسميات يصبح الأصح والأصح في شأن ذي القرنين أنه قورش العظيم كما يرى مولانا أبو الكلام آزاد في كتابه ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾.

* إذن الأمارات والدلالات هنا أهدى وأقدر على الوصول بنا إلى الحقيقة من المسميات المطلقة على من هو محل خلاف في البحث عن حقيقة شخصه، ومن هو تاريخيا على وجه التحديد؟!

** والدلالات والأمارات التي أطلقت وذكرت وقيلت كما

سبق وأوضحنا عن المعزى القادم، والمبعوث بعد السيد المسيح يفهم منها بالبديهة والعقل والمنطق وسياق الأحداث وسنة الله مع رسله وخلقه أنه أي المعزى إنسان على طراز ونموذج السيد المسيح، أي: بشرًا، وليس ملكًا من الملائكة!

* فهو كما قال السيد المسيح: يعلم الناس كل شيء، ويرشدهم إلى جميع الحق، وهذا لا يتأتى إلا لإنسان يسعى بين الناس، ويمشي في الأسواق، يخاطب الكبير والصغير بلغة القوم!

وكيف يعلم الروح القدس الناس كل الناس كل شيء، ويرشدهم إلى جميع الحق؟! أينفرد بكل واحد منهم على حدة ويعلمه وحيا وسرًا، أم يتمثل لهم جميعًا بشرًا؟!

* وهو كما قال السيد المسيح: يخبر الناس بأمور آتية، أي: بغيب من غيب الله! وتفهم عقلاً ومنطقًا كما اعتاد الناس من السابقين من الأنبياء والرسل أن يخبرهم المعزى بأمور غيبية آتية تنزل عليه وحيًا من السماء، ويخبره بأمرها العليم الخبير، ويخبر هو الناس بها في «ملأ»! وتثبت فيما ينزل عليه من كتاب، أو تثبت فيما يرويه عنه الثقات من تلاميذه من أحاديث موثقة!

أما أن يفهمها البعض على أنها إخبار أو إلهام من الروح القدس لبعض الناس دون البعض، وسرًا، وعلى إنفراد، فهذا غير معقول، ومجاف للحقيقة، وعاقبة غير «مأمونة»!

وانظر على سبيل المثال في حالة من أحدث الحالات المعاصرة

مع المفكر المسيحي «صبحي برسوم بباوى» في كتابه «السيد المسيح قادم قريبًا جدًا»، حيث حدد المؤلف في كتابه يوم ٩/ ٤/ ٩٨ لظهور الابن الأثيم، ويوم ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠١ للمجيء الثاني للسيد المسيح، وأن البابا شنودة آخر باباوات كنيسة الله، وهو المبارك المنوط بزفاف العروس كنيسة شعب الله لعريسها السمائي في مجيئه الثاني.

وكل هذا وصل إليه المؤلف بإلهام الروح القدس، وهو وحي خالص وخاص له من الروح القدس! فماذا لو مضت وقد مضت هذه التواريخ ولم يقع أو يحدث شيء من ذلك؟!

ومن قبل ومن بعد كيف يفهم عقلاً ومنطقًا قول السيد المسيح عن المعزى: «ويخبركم بأمور آتية» بأنه إخبار في السر لبعض الخاصة فقط ووحيا! وليس إخبارًا علنيا من مبعوث إلهي لكل الناس الذي يبعث إليهم؟!

* وأهم من ذلك وأكثر وضوحًا وأكثر إقناعًا وإفحامًا من أمارات وعلامات المعزى ما ورد بالإصحاح الرابع عشر - ١٦:

«فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد».

حيث يفهم منها على الفور أنه نبي آخر يمكث معهم إلى الأبد برسالته، فتكون خاتم الرسالات، ويكون هو خاتم الأنبياء إلى أن تقوم الساعة؛ لأنه من غير المعقول أن يمكث معهم هذا المعزى بجسده إلى يوم القيامة، والروح القدس أو جبريل عليه السلام في مكثه كان موجودًا وما زال، وسيظل إلى الأبد مع غيره من الملائكة

الكرام في عالمهم الخاص، كل قائم برسالته حسب المكلف به منذ بدء الخلق قبل آدم عليه السلام، وبالطبع قبل عيسى عليه السلام، وبشارته لقومه بالمعزى القادم بعده! وكان الروح القدس أيضًا موجودًا لحظة قول عيسى عليه السلام هذا الكلام عن المعزى!

أما هذا المعزى الذي بشر به المسيح فلا يتواجد مع المسيح في وقت واحد بصريح النص الذي سبق وذكرناه وورد في الإصحاح السادس عشر – ٧ من إنجيل يوحنا والذي يقول:

«ولكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى».

وحول ذلك يقول الأستاذ رءوف أبو سعدة:

«وهذا صريح في أن المسيح وهذا الآتي من بعده لا يتعاصران على هذه الأرض. لابد من رفع المسيح أولا قبل مجيء هذا الآتي، بينما نقرأ في يوحنا أن هذا الروح القدس كان معهم قبل رفع المسيح، بل إن المسيح نفخ فيهم هذا الروح القدس قبل ارتفاع المسيح: ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس – يوحنا ٢٠/ ٢٢».

* وفي النهاية تبقى الأمارتان الخاصتان بشهادته وتمجيده للمسيح، وبأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به.

* وشهادة محمد بن عبد الله خاتم النبيين وتمجيده لأخيه المسيح عليهما السلام ثابتة بالنص القطعي الثابت في الكتاب والسنة منذ

بعثة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وإلى قيام الساعة، يستطيع أن يطلع عليها في مصادرها كل الناس من العامة والخاصة.

أما كيف تتم الشهادة ويتم التمجيد من جانب الروح القديس للمسيح، وهو أي الروح القدس ليس ببشر، فهذا ما يصعب فهمه كما يصعب تصوره؟ وإن تم سرًا ووحيًا وإلهامًا للخاصة من الحواريين الذين يقومون بتبليغه بعد ذلك لعامة الناس فأي الحالين أقرب إلى المعقول والمقبول، وأي الحالين أقوى تعبيرًا وأقوى تأثيرًا في تمجيد السيد المسيح والشهادة له؟!

* أما أمارة كونه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، فهي من الأمارات والخواص التي تسرى وتنطبق على كليهما! أي على رسول الله محمد بن عبد الله، وعلى الروح القدس جبريل عليه السلام، فجبريل لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع من الحق تبارك وتعالى يتكلم به إلى الموحى إليه من رسل الله حسب التكليف الإلهي الصادر إلى جبريل عليه السلام، ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام يسمع من جبريل عليه السلام، ويتكلم به إلى من بعث إليهم!

ولكن المهم أن تؤخذ الأمارات الخمسة على بعضها ومع بعضها كما تؤخذ المسميات المطلقة على المعزى مع الأمارات الدالة عليه في نفس الوقت؛ لنصل إلى شخص هذا المعزى الذي بشر به السيد المسيح على وجه الصحة والحقيقة!

ولكن في نفس الوقت لا يفوتنا التنبيه هنا بالنسبة لهذه الأمارة

الأخيرة أمارة أنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، لا يفوتنا التنبيه هنا إلى أنها تصح على خاتم النبيين، وعلى جبريل عليهما السلام في نفس الوقت في حالة الإيمان بمحمد كنبي وبجبريل كملك من ملائكة الله! والأمر يختلف كثيرًا ويبدو غير ذلك بالضرورة عند من يعتقد بأن الروح القدس إله؛ إذ كيف يصح أو يستساغ لدى عاقل أن الإله لا يتكلم من نفسه، وإنما كل ما يسمع يتكلم به؟ وكيف لإله ألا يقدر على الكلام من نفسه، وإنما يسمع من غيره؟ أم إله هناك لإنشاء الكلام وإصدار الأوامر وإله آخر لتبليغ ما يسمع من كلام وأوامر؟!

***

خلاصة القول وحقيقة القول وأصح القول في أمر المعزى الذي ورد خبره، وورد ذكره على لسان السيد المسيح في إنجيل الحواري يوحنا إنما هو محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام!

كل حرف وكل كلمة وردت عن المعزى في إنجيل يوحنا تكاد تنطق وتقسم بالحق وبالقلم وما يسطرون أنه محمد بن عبد الله، وعلى كل من يرى أو يعتقد غير ذلك أن يراجع نفسه بعقل مفتوح وقلب سليم ينشد الحقيقة خالصة لوجه الحقيقة دون سابق مسلمات موروثة، وذلك قبل فوات الأوان، فوالله ما بعد هذه الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، وإنها لجنة أبدًا، أو لنار أبدًا!

الخاتمـــة

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [يس: ١٧].

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام:

«من علم علمًا فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث حسن.

وواضح تمامًا من الآيات البينات أن مهمة الرسل البلاغ، والهدى بعد ذلك هدى الله، وكذلك قياسًا على ذلك ومن باب أولى تقتصر مهمة من هداه الله من خلق الله إلى أمر من أمور العقيدة والدين عند حد البلاغ والإشهار، وتبليغ غيره من عباد الله فقط، ولا عليه بعد ذلك اهتدى وصدق غيره من الناس أم أبى ولم يهتد،

فالهدى من قبل ومن بعد هدى الله! حقيقة إيمانية لا تحتمل الخلاف أو الجدل.

وواضح تمامًا من الحديث النبوي الشريف أن «**من علم علمًا فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**». فمن علم علمًا، أو هداه الله إلى علم وجب عليه شرعًا وفرضا إبلاغه وإشهاره وإعلامه وعدم كتمانه، وذلك حتى ينجو بنفسه، وإلا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار. وليس عليه بعد ذلك أن يصدقه على ذلك ويأخذ ويهتدي بذلك غيره من الناس، فالهدى هدى الله كما قال تعالى في محكم آياته البينات.

* من هذا المنطلق وعلى هذا الأساس تقتصر رسالة هذا الكتاب المتواضع عند حد الإبلاغ والإقرار والقول بأن المعزى الذي ورد خبره وذكره، والتبشير به، والحديث عنه في إنجيل «يوحنا» إنما هو محمد بن عبد الله نبي المسلمين، وخاتم النبيين يقينا، ونقسم على ذلك! لا نلزم غيرنا بذلك، ولا نجبر أحدًا على الاعتقاد والتسليم معنا بذلك، وإنما هو البلاغ غاية مهمة البشر، وغاية التكليف المطلوب من العباد، والهدى بعد ذلك إنما هو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده!

إن هي إذن إلا «الكلمة» نقولها ونمضي! نقولها حسبة لوجه الله، وإبراء للذمة، ونجاة بالنفس، وامتثالاً لحديث رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام في عدم كتمان العلم.

** لقد سبق وذكرنا في الفصل التمهيدي لهذا الكتاب أن الدكتور خليل سعادة صاحب ترجمة إنجيل برنابا للعربية قد قال في مقدمة ترجمته: «ولا ريب في أن الكاتب كان على ما تقدم الإلماع إليه بارعًا جدًا في أساليب التعبير، وإقامة الحجج والأدلة، ولكنه كان بارعًا أكثر من اللازم حتى ربما جاوز الغرض، وما جاوز حده جاور ضده، ولو أشار إلى مجيء الرسول نبي المسلمين من طرف خفي بإشارات تنطبق عليه دون التصريح باسمه الصريح تكرارًا، والشروح الضافية الذيول، ودون أن يذكر شيئًا عن الشهادتين اللتين يقول: إن أبانا آدم رآهما مسطورتين بأحرف من نور فوق باب الجنة لكان أصلح للغاية التي يرمي إليها».

ومعنى ذلك أن الدكتور خليل سعادة يفضل – إذا ما كانت هناك إشارة أو بشارة إلى مجيء نبي المسلمين في إنجيل من الأناجيل – أن يقع ذلك بإشارات تنطبق عليه وتشير إليه دون التصريح باسمه الصريح!

ولو سأله أحد من الناس قبل مماته، أو سأل غيره ممن يعتقد ويؤمن برأيه هذا عن الإشارات الخمسة الواردة في إنجيل يوحنا من طرف خفي، وهي تنطبق وتشير بكل حرف فيها إلى محمد بن عبدالله نبي المسلمين ترى هل كان يوافق هذه المرة ويعجبه ذلك، أو يسلم به؟!

أغلب الظن: لا، وأغلب الظن أكثر أنه في مثل هذه الحالة

سوف ينحاز إلى تأييد جانب التصريح بالاسم الصريح ممثلاً في حالتنا في مسمي «الروح القدس»! وسوف ينحاز أكثر إلى الرأي الذي ينفي وينكر ورود اسم «فارقليط» المستمد من الحمد في أي أصل أو ترجمة لإنجيل يوحنا في أي يوم من الأيام فيما ورد فيه من حديث عن المعزى!

ذلك لأن الأهم في مثل هذه القضايا إذا أراد المرء الوصول فيها إلى وجه الحق والحقيقة عن يقين أن يتناولها دون تعصب عقائدي من أي نوع، ودون مسلمات موروثة، ويقبل عليها بقلب سليم، ونية خالصة، وعقل مفتوح محايد، لا ينشد في بحثه غير الحقيقة لوجه الحق والحقيقة.

إن أي عالم، أو باحث، أو رجل دين من أي دين يتصدى لبحث قضية «المعزى» الوارد ذكره وخبره في إنجيل يوحنا مهما كان مغرضًا، أو حاول الميل والانحراف برأيه لغرض ما أو هوى معين لن يستطيع بأي حال من الأحوال أن يغمض عينه عن حقيقة ساطعة كفلق الصبح، قاطعة كحد السيف، واضحة وضوح شمس النهار، وهي أن الدلالات أو الإشارات أو البشارات الخمسة التي أشار بها السيد المسيح إلى المعزى القادم، والمبعوث من بعده تنطق بالحرف الواحد، وتنطبق وتشير إلى نبي المسلمين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولو كان المعزى شخصًا آخر غير محمد بن عبد الله ما ظهر في

التاريخ، ولا شاءت إرادة الله أن يظهر في تاريخ البشرية شخص محمد بن عبد الله بهذه المواصفات التي ذكرها عيسى عليه السلام عن المعزى!

ومن هنا وجب على كل من يعتقد بأن المعزى شخص آخر غير نبي المسلمين أن يبرر ويحلل، ويفسر لنا ظاهرة ظهور شخص في جزيرة العرب بعد المسيح بأكثر من ستة قرون، ليس بالمعزى، وفيه نفس المواصفات.

وإشارات وبشارات المعزى كما ذكرها المسيح، وكما وردت في إنجيل الحواري الجليل يوحنا الصياد.

أتكون الصدفة؟ وهل في العلم وفي البحث الجاد شيء اسمه الصدفة؟ وإلى هذا الحد؟!

أم تكون فتنة خلق الله لمجرد الفتنة؟ أم يخادع المكابرون أنفسهم ويخدعون الأهل والأتباع بمحاولة إقناعهم بأن نبي المسلمين والعياذ بالله ممن وصفهم المسيح بالأنبياء والمسحاء الكذبة؟!!

أيكون منهم وتنطبق عليه هكذا بالحرف الواحد بشارات وإشارات السيد المسيح عن المعزى؟!

وتاريخ الإسلام معروف، وحضارة الإسلام معروفة، ومد الإسلام معروف ومستمر، ودخول العشرات بل المئات من أبناء المسيحيين المثقفين ومن غيرهم يوميا إلى حظيرة الإسلام مشهود، ولا

يخفى على أحد، وخلود الإسلام والقرآن باق حتى الآن وإلى يوم الدين، فهل يمكن أن يكون هذا كله ثمرة وحصاد واحد من الأنبياء والمسحاء الكذبة؟ وهل يقول بذلك عاقل مهما بلغ حقده وبلغت عداوته للإسلام؟ وإذا قالها من يصدقه على ذلك؟! ألم يقل المسيح: «من ثمارهم تعرفونهم» - متى ٧- ١٦.

إن القرآن معجزة الإسلام، ومعجزة نبي المسلمين، أنزله الله على قلب النبي الأمي محمد بن عبد الله، وهو صالح لكل زمان ومكان، وهو خالد وباق بيننا حتى الآن، وإلى أن تقوم الساعة، وأوجه الإعجاز فيه لا تحصى ولا تعد، وأهمها وفي مقدمتها أنه يتحدى البشر منذ نزوله وإلى الآن أن يثبتوا له مؤلفًا غير الله؟!

ومنذ أربعة عشر قرنًا من الزمان وإلى الآن، وإلى أن تقوم الساعة بإذن الله لم يستطع، ولن يستطيع مفكر، أو مؤلف من أي ملة أو دين أن يؤلف كتابًا يقنعك فيه من خلال بحث علمي جاد بأن القرآن كتاب بشري، وأن الذي وضعه واحد من خلق الله كمحمد ابن عبد الله، أو غيره من خلق الله؟!

وهيهات هيهات! ولو استطاعوا ما سكتوا، ولا انتظروا حتى الآن! ودعك من بعض محاولات مريضة لا تقف على قدم وساق؟! والقرآن المعجز هو الذي أخبر في آية من آياته المحكمات أن أهل الكتاب يجدون النبي الأمي محمد بن عبد الله مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل.

ورغم حرصهم على مصادرة كـل إنجيـل يعـرض بالـذكر لـنبي المسلمين مثل إنجيل برنابا.

ورغم اختيارهم واعتمادهم من الأصل الأناجيـل دون أخـرى بصورة تحكمية، وعبر طريق الاقتراع، وصل إلينا إنجيـل يوحنـا وبـه خبر «المعزى»! وكان بإمكانهم عبر تاريخ طويل من التحريف إخفاء خبر المعزى من إنجيل يوحنا، خاصة وأن الأناجيل الثلاثة الأخـرى، أي: أناجيل المقابلة لم يرد بها أي خبر عن المعزى! ولكنها إرادة الله؛ لكي يظل كلامه الحق وكتابه الحق معجزة المعجزات الخالدة عبر كل زمان ومكان، وحتى آخر الزمان، فجاء خبر المعزى في إنجيـل يوحنـا مصدقًا لقوله الكـريم، وصـدق الله العظـيم وبلـغ رسـوله الصـادق المصدوق الأمين، ونحن على ذلك من الشاهدين:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

***

المراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- السنة الشريفة.

٣- الكتاب المقدس – العهد القديم والجديد.

٤- إنجيل برنابا، ترجمة: الدكتور خليل سعادة- دار الفتح للإعلام العربي.

٥- إنجيل تولستوى، ترجمة سليم قبعين –المطبعة المصرية الأخوية بشارع كلوت بيك بمصر، سنة ١٩٠٤م.

٦- المسيحية نشأتها وتطورها، تأليف: شارل جنيبر، ترجمة: الدكتور عبدالحليم محمود – المكتبة المصرية – صيدا – بيروت.

٧- المسيحية، الدكتور أحمد شلبي، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م، مكتبة النهضة المصرية.

٨- عبقرية المسيح – عباس محمود العقاد، كتاب اليوم، يناير ١٩٥٣.

٩- محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، دار الفكر العربي.

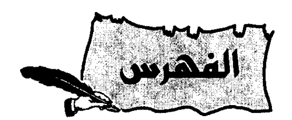
١٠- من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن – رءوف أبو سعدة، الجزء الثاني – دار الهلال- (٥٧) الإنجيل.

١١- إثبات نبوة النبي ﷺ، تأليف: أبي الحسن أحمد بن الحسين هارون الهاروني الحسن الزيدي ٣٣٣- ٤٢١هـ، تحقيق: خليل أحمد إبراهيم الحاج، دار التراث العربي.

١٢- السيد المسيح قادم قريبًا جدًا – المفكر المسيحي: صبحي برسوم بباوى.

١٣- ويسألونك عن ذي القرنين – مولانا أبو الكلام آزاد – دار الشعب، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

***


الفهرس

* * *